النكاح
في مواجهة السفاح

أ. د. السيد عبدالحليم محمد حسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من رسائل الفقه الإسلامي
(٣)

النكاح
في
مواجهة السفاح

الدكتور
السيّد عَبْدُ الحليم مُحَمَّد حُسَيْنٌ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع ٢١٢١ / ٢٠٠٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن مسعود:

«لو لم يبق من أجَلى إلا عشرة أيام،
وأعلم أنى أموت فى آخرها،
ولى طول النكاح فيهن،
لتزوجت مخافة الفتنة»!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الإسلام دين الفطرة، وطريق الاعتدال، أقر وجود غريزة الجنس، ونظمها بالحياة الزوجية... فحين خلق البارى – جل وعلا – الإنسان، خلق معه زوجه ليسكن إليها ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

قال القرطبى: «فأول ارتفاق الرجل بالمرأة سكونه إليها، مما فيه غليان القوة، وذلك أن الفرج إذا تحمل فيه، هيج ماء الصلب إليه، فإليها يسكن، وبها يتخلص من الهياج» جـ١٤ ص ٧.

وقال ابن عباس ومجاهد: فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ المودة: الجماع. والرحمة: الولد». **وقال الحسن**: المودة كناية عن الجماع، والرحمة عن الولد، كما قال تعالى «ورحمة منا» أبو السعود جـ٤ ص ٣٥٧. فالزواج فى الإسلام ترشيد لغريزة الجنس؛ لأنه يحول بين المسلم والوقوع فى الفاحشة.

روى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبى ﷺ شبابا لا نجد شيئًا فقال لنا رسول الله ﷺ:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

«**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر** [أخفض وأدفع لعين المتزوج عن الأجنبية – من غض طرفه أى حفضه وكفه] **وأحصن للفرج** [أى أشد إحصاناً له ومنعاً من الوقوع فى الفاحشة] **ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإن له وجاء**» البخارى جـ٩ ص ١١٣ .

يقول الدهلوى: «اعلم أن المنى إذا كثر تولده فى البدن صعد بخاره إلى الدماغ فحبب إليه النظر إلى المرأة الجميلة، وشغف قلبه حبها، ونزل قسط منها إلى الفرج فحصل الشبق واشتدت الغلمة [قوة شهوة الجماع] وأكثر ما يكون ذلك فى وقت الشباب، وهذا حجاب عظيم من حجب الطبيعة يمنعه من الإمعان فى الإحسان ويهيجه إلى الزنا، ويفسد عليه الأخلاق ويوقعه فى مهالك عظيمة من فساد ذات البين، فوجب إماطة هذا الحجاب، فمن استطاع الجماع وقدر عليه، فلا أحسن له من أن يتزوج، فإن التزوج أغض للبصر، وأحصن للفرج من حيث إنه سبب لكثرة استفراغ المنى» حجة الله البالغة جـ٢ ص ١٢٣ .

ولم يقتصر الإسلام على تشريع النكاح لترشيد غريزة الجنس وتنظيمها، بل رغّب فيه وأزال العوائق التى تعترضه، وبيّن السبل الكافية لإشاعة المحبة والوداد فى الحياة العائلية حتى يتحقق الغرض المنشود .

فما شرع الله سبحانه النكاح إلا لحكم سامية، وغايات نبيلة، وفوائد جليلة، وأمر بتيسير أسبابه؛ لأنه الطريق الأمثل للتناسل، وعمران الأرض بالذرية الصالحة، ولم يشأ أن يترك الإنسان كغيره من المخلوقات، فيجعل غرائزه تنطلق دون وعى، بل وضع النظام الملائم الذى يحفظ للإنسان كرامته، ويصون له شرفه. ووضع للغريزة طريقها المأمون وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة أن تكون دمية بين أيدى العابثين، أو كلأً مباحًا لكل راقع.

والزواج أحسن وسيلة لإنجاب الأولاد، وتكثير النسل، واستمرار الحياة، وقد حض الإسلام عليه، وعدّه الرسول ﷺ خير متاع فى هذه الحياة فقال ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة**». بل عده خير كنز يكنزه الإنسان فى حياته فقال ﷺ: «**ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله**».

لذلك أمر الإسلام بتيسير أسباب الزواج، وتسهيل طرقه لتجرى الحياة على طبيعتها وبساطتها، وأمر بإزالة جميع العقبات من وجهه...

وفى هذه الرسالة دراسة واعية لموضوع النكاح وتيسير سبله وإزالة عوائقه. أسأل المولى جل وعلا أن ينفع بها كل من وعاها

وأن يهدى شباب الأمة إلى البر والتقوى، وأن يحصنهم من اتباع الهوى، ويحفظهم من نزغات الشياطين، إن ربى على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الدكتور

السيد عبد الحليم محمد حسين

نيويورك ٢ جمادى الأولى سنه ١٤٢٣ هـ .

١٢ يوليـــــــو سنه ٢٠٠٢م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الباب الأول

التوجيه السديد للغريزة الجنسية

الفصل الأول: الحض على الزواج.

الفصل الثانى: تهيئة مناخ النكاح.

الفصل الثالث: المودة والرحمة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

«دخل الأحنف بن قيس على معاوية - ويزيد بين يديه، وهو ينظر إليه إعجابًا به - فقال: يا أبا بحر. ما تقول فى الولد؟ فعلم ما أراد. فقال:

يا أمير المؤمنين، هم عماد ظهورنا، وثمرة قلوبنا، وقرة أعيننا، بهم نصولُ على أعدائنا، وهم الخلف لم بعدنا، فكن لهم أرضا ذليلة، وسماء ظليلة، إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك (طلبوا منك الرضى) فأعتبهم، لا تمنعهم رفدك (عطاءك) فيملوا قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتك.

فقال: لله درك يا أبا بحر؛ هم ما وصفت».

«الأمالى لأبى على القالى»

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الأول

الحض على الزواج

١- الزوجية سنة من سنن الله في الخلق والتكوين، مطردة في جميع العوالم المخلوقة ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] وهي الأسلوب الذي اختاره الله للتوالد والتكاثر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

٢- لذلك رغّب الإسلام فيه، وحث عليه فقال: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] يقول ابن حجر: «ووجه الاستدلال بالآية أنها صيغة أمر، وأقل درجاته الندب فثبت الترغيب» فتح الباري جـ ٩ ص ١٠٤.

وروى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال لنا: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[1] فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه**

(١) الباءة: قال النووي: اختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين يرجعان =

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالصوم، فإنه له وجاء[1]».

وليس الأمر بالنكاح قاصراً على الشباب. يقول ابن حجر: «خص الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة الداعى فيهم إلى النكاح، بخلاف الشيوخ، وإن كان المعنى معتبراً إذا وجد السبب فى الكهول والشيوخ أيضاً»[2].

حكم الزواج

– يرى بعض العلماء أن النكاح واجب على الجميع لورود الأمر به فى الكتاب والسنة ويستدلون على هذا بقولهم: «إن التحرز من الزنى فرض، ولا يُتوصل إليه إلا بالنكاح، وما لايتوصل إلى الفرض إلا به يكون فرضا»[3].

وقال أبو بكر بن عبد العزيز – كما قال ابن قدامة – هو واجب، وحكاه عن أحمد، وحكى عن داود أنه يجب فى العمر مرة واحدة للآية والخبر»[4].

= إلى معنى واحد أصحهما أن المراد هنا معناها اللغوى، وهو الجماع، فتقديره من استطاع منهم الجماع لقدرته على مؤنه وهى مؤن النكاح، فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع منه كما يفعله الوجاء» شرح النووى جـ٩ ص ١٧٣ .

(١) وجاء : هو رضّ الخصيتين والمراد هنا أن الصوم يقطع الشهوة، ويقطع شره المنى، كما يفعله الوجاء. المصدر السابق..

(٢) فتح البارى جـ ٩ ص ١٠٨ .

(٣) المبسوط للسرخسى جـ٤ ص ١٩٣ .

(٤) المغنى جـ ٦ ص ٤٤٦ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وذهب أبو حزم إلى وجوب النكاح فقال فى المحلى: «وفرض على كل قادر على الوطء، إن وجد من أين يتزوج أو يتسرى أن يفعل أحدهما ولابد، فإن عجز عن ذلك فليكثر من الصوم»(١).

وأما عامة الفقهاء فيرون وجوب النكاح على من يخاف على نفسه الوقوع فى المحظور بترك النكاح. يقول ابن قدامة: «واختلف أصحابنا فى وجوبه، فالمشهور فى المذهب أنه ليس بواجب إلا أن يخاف أحد على نفسه الوقوع فى محظور بتركه، فيلزمه إعفاف نفسه، وهذا قول عامة الفقهاء»(٢).

وقال القرطبى: «المستطيع الذى يخاف الضرر على نفسه ودينه العزوبة بحيث لا يرتفع عن ذلك إلا بالتزويج لا يختلف فى وجوب التزويج عليه»(٣).

ويقدم النكاح على الحج فى مثل هذه الصورة: يقول ابن تيمية: «وإن احتاج الإنسان إلى النكاح وخشى العنت بتركه، قدمه على الحج الواجب، وإن لم يخف قدم الحج، ونص عليه الإمام أحمد فى رواية صالح وغيره، واختاره أبو بكر»(٤).

النكاح سنة المرسلين:

قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا**

(١) المحلى جـ٩ ص ٤٤٠.
(٢) جـ٦ ص ٤٤٦.
(٣) فتح البارى جـ٩ ص ١١٠.
(٤) الفتاوى: ص٢٠١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] يقول القرطبى: «هذه الآية تدل على الترغيب فى النكاح، والحض عليه، وتنهى عن التبتل، وهو ترك النكاح، وهو سنة المرسلين كما نصت عليه الآية»(١).

وروى الترمذى عن أبى أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح**»(٢).

والمراد بالسنة كما قال ابن حجر: «الطريقة التى لا تقابل الفرض»(٣).

المرأة الصالحة متاع:

النكاح خير وسيلة لمتاع الدنيا. روى مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**».(٤)

وروى الطبرانى عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «**أربع من أعطيتهن فقد أُعطى خير الدنيا والآخرة: قلبا شاكراً، ولسانًا ذاكراً، وبدنًا على البلاء صابراً، وزوجة لا تبغيه حوبًا [إثما] فى**

---

(١) القرطبى جـ ٩ ص ٣٢٧.

(٢) الترمذى مع تحفة الأحوذى جـ ٢ ص ١٦٦.

(٣) فتح البارى جـ٩ ص ١٠٥.

(٤) صحيح مسلم جـ٢ ص ١٠٩٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نفسها وماله[1]». وروى الترمذى عن ثوبان قال: لما نزلت ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ** ﴾ [التوبة: ٣٤] قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه أنزلت فى الذهب والفضة، لو علمنا أى مال خير نتخذه؟ فقال ﷺ: «**أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه**» حديث حسن. من هذا يعلم أن النكاح وسيلة لحصول خير متاع الدنيا، وأن الزوجة الصالحة أفضل أموالها، ونعمة من أكبر النعم وأعظمها. حيث تعين زوجها على تقوى الله من الصلاة والصوم وغير ذلك وتمنعه من الزنا والمحرمات.

استكمال الدين بالنكاح

روى أن أنس رسول الله ﷺ قال: «**من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله فى الشطر الثانى**[2]» وفى رواية للبيهقى قال رسول الله ﷺ: «**إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين، فليتق الله فى النصف الباقى**[3]». قال القرطبى «ومعنى ذلك أن النكاح يعف عن الزنا، والعفاف أحد الخصلتين اللتين ضمن رسول الله ﷺ عليهما الجنة. فقال: «**من وقاه الله شر اثنتين**

---

(١) الطبرانى فى الكبير والأوسط وإسناد أحدهما جيد.

(٢) المستدرك على الصحيحين جـ٢ ص ١٦١ وقال الحاكم: صحيح الإسناد – ولم يخرجاه.

(٣) مشكاة المصابيح ج٢ ص ١٦١ قال الألبانى: «حسن لطرقه».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولج الجنة: ما بين لحييه، وما بين رجليه» أخرجه الموطأ وغيره[١]».

وروى الحافظ ابن أبى شيبة عن طاوس وقال: «لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج[٢]».

أجر المعاشرة:

رغب النبى الكريم ﷺ فى النكاح ببيان الثواب بممارسة العلاقات الجنسية فى نطاق الزوجية فقد روى مسلم عن أبى ذر أن رسول الله قال: «**وفى بضع أحدكم صدقة**» [البضع: الجماع ويطلق على الفرج] قالوا: يارسول الله، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: **أرأتيم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر**»[٣].

النهى عن ترك النكاح

نهى الإسلام عن الإعراض عن الزواج حتى ولو كان هذا بغرض الاشتغال بنوافل العبادة. فيقول سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [المائدة: ٨٧] قال ابن عباس: «نزلت هذه الآية فى رهط من أصحاب ﷺ، قالوا: نقطع مذاكيرنا، ونترك شهوات

---

(١) تفسير القرطبى جـ٩ ص ٣٢٧.

(٢) مصنف ابن أبى شيبة جـ٤ ص ١٢٧.

(٣) صحيح مسلم جـ٢ ص ٦٩٧ – ٦٩٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدنيا، ونسبح فى الأرض كما يفعل الرهبان، فبلغ ذلك النبى ﷺ فأرسل إليهم، فذكر لهم ذلك، فقالوا: نعم، فقال النبى ﷺ: «**لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأنام، وأنكح النساء، فمن أخذ بسنتى فهو منى**(١)».

وروى البخارى عن أنس أنه يقول: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر فلا أفطر. وقال آخر وأنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا، وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له. لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى**»(٢).

وروى البخارى عن سعد بن أبى وقاص يقول: «ردّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا»(٣). يقول ابن قدامة: «وهذا حث على النكاح شديد، ووعيد على تركه يقربه إلى الوجوب والتخلى منه إلى التحريم(٤)». وقد أكد

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٨٧ رواه ابن أبى حاتم.

(٢) صحيح البخارى ج٩ ص ١٠٤.

(٣) نفس المصدر ج٩ ص ١١٧.

(٤) المغنى ج٦ ص ٤٤٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الصحابة والأئمة أهمية النكاح، ونهوا عن التبتل، وذكر سعيد بن هشام بن عامر أنه سأل أم المؤمنين عائشة عن التبتل. فقالت: لا تفعل، أما سمعت قول الله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** ﴾ [الرعد: ٣٨] فلا تتبتل(١).

ورُوى عن شداد بن أوس - وكان قد ذهب بصره - قال: زوجونى فإن رسول الله ﷺ أوصانى ألا ألقى الله عزبًا»(٢)، وروى عن ميسرة قال لى طاوس: لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبى الزوائر: ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور»(٣).

قال ابن القيم: قال أبو عبد الله يعنى أحمد ابن حنبل: «ليس العزوبة من أمر الإسلام فى شىء، النبى ﷺ تزوج أربع عشرة، ومات عن تسع، ولو تزوج بشر بن الحارث لتم أمره، ولو ترك الناس النكاح لم يكن غزو ولا حج، ولا كذا، وقد كان النبى ﷺ يصبح وما عنده شىء، ومات عن تسع، وكان يختار النكاح ويحث عليه، ونهى عن التبتل، فمن رغب عن سنة النبى ﷺ فهو على غير حق، ويعقوب فى حزنه قد تزوج وولد له، والنبى ﷺ قال: «**حُبِبتَ إِلىّ النساء**» قلت له: (قال المروزى لأحمد) فإن إبراهيم بن أدهم يحكى عنه أنه قال: «لروعة صاحب

---

(١) المحلى لابن حزم جـ٩ ص ٤٤٠.

(٢، ٣) مصنف ابن أبى شيبة جـ ٤ ص ١٢٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العيال..» فما قدرت أن أتم الحديث حتى صاح بى (الإمام أحمد) وقال: وقعت فى بنيات الطريق: انظر ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه. ثم قال: بكاء الصبى بين يدى أبيه يطلب منه الخبز أفضل من كذا وكذا، وأين يلحق المتعبد العزب»[1].

وذكر ابن قدامة قول الإمام أحمد بن حنبل: «من دعاك إلى غير التزويج فقد دعاك إلى غير الإسلام[2]».

(١) ابن القيم: روضة المحبين ص ٢٣٠.

(٢) المغنى: جـ٦ ص ٤٤٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثانى

تهيئة مناخ النكاح

فى تأخير الزواج خطورة بالغة تؤدى إلى الحرام، لذلك قدم الإسلام الحلول الناجحة لإزالة كل العوائق التى تؤدى إلى تأخيره.

– فعالج الفقر لأنه يؤدى إلى سلب الفقير ثقته فى الاعتماد على نفسه، ويظن بعجزه أمام مسئولياته فيحجم عن الزواج تبعا لذلك، ولكن العليم الخبير جعل الزواج سببا فى الغنى واليسار فقال: ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ**(١) **مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٣٢].

فيقول ابن العربى: «فى هذه الآية دليل على تزويج الفقير، ولا يقولنّ كيف أتزوج وليس لى مال؛ فإن رزقه؛ ورزق عياله على الله تعالى، وقد زوج النبى (ﷺ) الموهوبة من بعض أصحابه، وليس له إلا إزار واحد»(٢).

---

(١) الأيامى جمع أيمن لا زوج له من الرجال والنساء بكرا أو ثيبا من كلا الجنسين.

(٢) أحكام القرآن لابن العربى جـ٣ ص١٣٦٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول أبو السعود: «إزاحة ما يكون وازعا عن النكاح من فقر أحد الجانبين، بأن لا يمنعنّ فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة، فإن فى فضل الله عز وجل غُنيَةٌ عن المال، فإنه غاد ورائح، يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب»(١).

وقال أبو بكر الصديق: «أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى قال تعالى: ﴿**إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [النور: ٣٢](٢)».

وقال عمر بن الخطاب: «ما رأيت مثل من يجلس أيِّمًا، بعد هذه الآية: ﴿**وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ**﴾ [**النور: ٣٢**]. التمسوا الغناء فى الباءة»(٣).

ويقول ابن حجر: «إن الفقر فى الحال، لا يمنع التزويج، لاحتمال حصول المال فى المآل»(٤).

وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازى فى سبيل الله**»(٥).

---

(١) أبو السعود جـ ٤ ص٥٦.

(٢، ٣) ابن كثير جـ ٣ ص ٢٨٧.

(٤) الفتح جـ ٩ ص ١٣١.

(٥) الترمذى والنسائى وابن ماجة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول المباركفورى: «ثابت عنده (الله تعالى) إعانتهم، أو واجب عليه بمقتضى وعده معاونتهم»(١).

وقال السيوطى ناظما:

حق على الله عون جمع ... وهو لهم فى غد يجازى

مكاتب، ناكح عفافاً، ... ومن أتى بيته، وغازى(٢)

لا يجوز أن يكون الفقر سببا فى ردّ الخاطب

أرشد النبى (ﷺ) أمته إلى أن لا يكون المال أو الفقر فى ذاتهما سببًا لقبول خاطب أو ردّه. كما أنه لا ينبغى أن يكون أيهما سببا للرغبة فى بنت أو الإعراض عنها.

* أما عن الخاطب فقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكون فتنة فى الأرض، وفساد عريض**»(٣).

يقول المباركفورى: «وذلكم لأنكم إن تزوجوها إلا من ذى مال أو جاه، ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج، وأكثر رجالكم بلا نساء، فيحدث الافتتان بالزنى، وربما يلحق الأولياء عار، فتهيج

---

(١) تحفة الأحوذى جـ ٣ ص٥.

(٢) شرح السيوطى لسنن النسائى جـ٦ ص٦١، وأضاف الحاج إلى الثلاثة فى الحديث.

(٣) الترمذى جـ ٢ ص١٦٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفتن، والفساد يترتب عليه قطع النسب، وقلة الصلاح والعفة»[1].

* وأما بالنسبة للرغبة فى البنات لأجل المال والإعراض عنهن بسبب الفقر فقد روى البخارى عن أبى هريرة عن النبى (ﷺ) قال: «**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**».

يقول ابن حجر: المعنى أن اللائق بذى الدين والمروءة، أن يكون الدين مطمع نظره فى كل شىء لا سيّما فيما تطول صحبته، فأمره (ﷺ) بتحصيل صاحبة الدين الذى هو غاية البغية»[2].

وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهم أن يرديهن** [يهلكهن بسبب إعجابهن] **ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن** [توقعهن فى المعاصى والشرور] **ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء** [مقطوعة بعض الأنف ومثقوبة الأذن] **سوداء ذات دين أفضل**[3]».

---

(١) الترمذى جـ٢ ص١٦٩.

(٢) الفتح جـ٩ ص ١٣٥.

(٣) ابن ماجة جـ١ ص ٥٩٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

دعم مريد الزواج

دعم مريد النكاح مطلوب من الآباء والمجتمع والدولة، روى البيهقى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وُلد له ولد، فليحسن اسمه، وأدبه، فإذا بلغ فليزوجه، فإن بلغ ولم يزوجه فأصاب إثما، فإنما إثمه على أبيه**»(١).

قال ابن قدامة: «ويلزم الرجل إعفاف ابنه إذا احتاج إلى النكاح، وهذا ظاهر مذهب الشافعى»(٢). ومسئولية المجتمع عن تزويج الأيامى قوله سبحانه: «**وأنكحوا الأيامى...**».

يقول القرطبى: «زوجوا من لا زوج له منكم، فإنه طريق التعفف»(٣).

ويقول صاحب الظلال: «هذا أمر للجماعة بتزويجهم، والجمهور على أن الأمر هنا للندب.. ونحن نرى إعانة الراغبين منهم فى الزواج، وتمكينهم من الإحصان، بوصفه وسيلة من وسائل الوقاية العملية، وتطهير المجتمع الإسلامى من الفاحشة، وهو واجب، ووسيلة الواجب واجبة»(٤).

---

(١) مشكاة المصابيح بتحقيق الألبانى جـ٢ ص ١٧٠.

(٢) المغنى جـ٧ ص٥٨٧.

(٣) جـ ١٢ ص٢٣٩.

(٤) جـ ٦ ص ٩٨، ٩٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن كتب السنة يظهر – لنا – أن مساعدة الأيامى كانت أمرا مألوفا فى عصر النبى (ﷺ) روى أحمد عن بريدة قال: لما خطب علىٌّ فاطمة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه لابد للعرس من وليمة**» قال: فقال سعد: علىٌّ كبش، وقال فلان: علىٌّ كذا وكذا من ذرة»(١).

– وجعل الإسلام للدولة الإسلامية تقديم المساعدة للراغب فى الزواج إذا عجز عن تحمل نفقاته بتيسير وسيلة الحصول على المال الحلال الذى يكفيه للزواج.. أو بإعانته من بيت المال.

روى مسلم عن أبى هريرة قال: جاء رجل إلى النبى (ﷺ) فقال: إنى تزوجت امرأة من الأنصار، فقال له النبى (ﷺ): «**هل نظرت إليها؟، فإن فى عيون الأنصار شيئا**». قال: قد نظرت إليها. **قال**: «**على كم تزوجتها**»؟ قال: على أربع أواق. **فقال له النبى (ﷺ): على أربع أواق؟ كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك فى بعث تصيب منه**، قال: فبعث بعثا إلى بنى عبس، بعث ذلك الرجل فيهم(٢)».

---

(١) مسند أحمد جـ٥ ص٣٥٩.

(٢) صحيح مسلم جـ٢ ص١٠٤٠ أواق جمع أوقية: وكانت عبارة عن أربعين درهما. تنحتون: تقطعون وتقشرون، عرض: جانب، ومعنى ذلك كراهة إكثار المهر بالنسبة لحال الزواج.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* وأما ما تقدمه الدولة من إعانة من بيت المال للراغب من الفقراء فى الزواج إذا خاف الوقوع فى الفاحشة، فسنده ما قاله الفقهاء: إن من تمام الكفاية ما يأخذ الفقير ليتزوج به إذا لم تكن له زوجة، أو احتاج إلى النكاح(١).

ويؤيد هذا اهتمام الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز بتزويج الأيامى حيث كتب إلى عبدالحميد بن عبدالرحمن وهو بالعراق: «أن أخرج للناس أعطياتهم» فكتب إليه: إنى قد أخرجت للناس أعطياتهم، وقد بقى فى بيت المال مال. فكتب إليه: انظر كل من أدان فى غير سفه ولا سرف فاقض عنه. فكتب إليه: إنى قد قضيت عنهم وبقى فى بيت مال المسلمين مال. فكتب إليه: أن انظر كل بِكْرٍ وليس له مال فشاء أن تزوجه، فزوجه وأصدق عنه(٢).

المغالاة فى المهور

المهر رمزٌ لتكريم المرأة، وليس عائقا فى سبيل النكاح، لهذا تُرك تحديده لظروف الناس، كلٌ على قدره، وقد رغّب (ﷺ) فى يسره فقال: «**خير الصداق أيسره**»(٣) وقال لمريد التزويج:

---

(١) هامش مطالب أولى النهى شرح غاية المنتهى جـ٢ ص١٤٧.

(٢) الأموال ص٢٣٢ تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى.

(٣) أبو داود والحاكم جـ٢ ص١٨٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«**التمس ولو خاتما من حديد**» البخاري، فالإسلام حينما أوجب المهر لم يجعله عائقا فى تحقيق النكاح ومع ذلك فيأبى الناس إلا المغالاة حتى كثرت العزوبة بين الشباب وهذا بدوره مؤدٍ إلى السفاح.

وأسباب المغالاة كثيرة:

* منها: الاعتقاد بأن المهر ضمان لمستقبل البنت: ونسوا أن المغالاة تثير الحقد فى نفس الخطاب، وتدفع بركة النكاح فالنبى (ﷺ) يقول: «**إن أعظم النكاح بركة، أيسره مؤونة**»(١).

فبركة النكاح فى يسره وليس فى كثرته.

* ومنها: الافتخار والمباهاة بشرف. مع أن الشرف فى البذل والعطاء والمسامحة والتيسير على الآخرين لا فى الأخذ والطلب والتشدد عليهم، يقول عمر: ألا لا تغالوا فى مهور النساء، فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا، وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبى الله ﷺ، ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئا من نسائه ولا أنكح شيئا من بناته على أكثر من اثنتى عشرة أوقية(٢).

* ومنها: التكسب من وراء المهر، مع أنه ملك للزوجة كما

---

(١) مشكاة المصابيح.

(٢) الأوقية: تعادل أحد عشر جنيهًا مصريًّا، رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجة والدارمى. مشكاة المصابيح جـ٢ ص١٨٩. إسناده صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]. ولا يجوز لأحد سواها أن يتصرف فيه إلا عن طيب نفس منها، وهى تملك صداقها بالعقد عليها، والرسول ﷺ يقول: «**أيما امرأة نكحت على صداق أو حباء أو عدة قبل عصمة النكاح فهو لها، وما كان بعد عصمة النكاح فهو لمن أعطيه، وأحق ما يكرم عليه الرجل ابنته وأخته**» ففيه دليل على أن المرأة تستحق جميع ما يذكر من صداق أو حباء وهو العطاء، أو عدة بوعد، ولو كان ذلك الشيء مذكورا لغيرها، وما يذكر بعد عقد النكاح فهو لمن جُعل له، كان وليا أو غير ولى أو المرأة نفسها.

قال عطاء: أيما امرأة نُكحت فاشترط على زوجها أن لأخيها من الكرامة كذا، ولأمها، ولأبيها، قال: إنما ذلك من صداقها، فإن تكلمت فيه فهى أحق به، وإن طلقها فلها نصف ذلك كله وإن حاباهم بشيء سوى صداقها فليس هو لهم»(١).

ويقرر العلماء أن من أهم عوامل انتشار الفاحشة إصرار الآباء على أخذ الأموال الكثيرة تحت اسم مهور بناتهم.

الإسراف

- **الإسراف فى الجهاز**: عالجه الإسلام بالنهى عن التباهى والتفاخر، وبيّن النبى (ﷺ) بعمله أن تجهيز الأثاث للبنت لا

(١) المصنف لعبدالرزاق جـ ٦ ص٢٥٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ينبغى فيه التكلف، ولا التفاخر، فقد روى النسائى عن علىّ (رضى الله عنه) يقول: جهّز رسول الله ﷺ فاطمة (رضى الله عنها) فى خميل وقربة ووسادة حشوها إذخر[1]. هكذا جهّز سيد الأولين والآخرين (ﷺ) ابنته العزيزة عليه وهى التى قال عنها: «**إنما فاطمة بضعة منى، يؤذينى ما آذاها**»[2].

- **الإسراف فى الولائم**: البساطة وعدم التكلف فى الولائم سمة الإسلام، فينبغى أن تكون ولائم الأعراس بما يتيسّر، والذى يجعل الوليمة وسيلة للتفاخر، لا تجاب دعوته.

قال رسول الله ﷺ: «**المتباريان لا يجابان ولا يؤكل طعامهما**»، قال الإمام أحمد: يعنى المتعارضين بالضيافة فخراً ورياء، وكتب السنة تنقل لنا أن رسول الله ﷺ أولم على بعض نسائه بمُدّيْن من شعير» «رواه البخارى»، وأولم على صفية بتمر وأقط وسمن. «البخارى» وأولم على بعض نسائه بشاة «البخارى». وما شرعت الوليمة إلا لشهرة النكاح والترغيب فى الزواج للآخرين والإسراف فيها يجعل الفقراء يضربون عن الزواج، لذلك قال تعالى: ﴿**وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

---

(١) خميل: قماش قطيفة. إذخر: حشيش طيب الرائحة.

(٢) بضعة: قطعة. رواه مسلم جـ ٤ ص١٩٠٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الوَلِيُّ

جعلت شريعة الإسلام مشاركة أولياء البنت شرطا لصحة النكاح، والسبب أن يعمل الأولياء على تسهيل أمر النكاح، ويراعوا مصالح البنت الخاصة والعامة..

وخشية أن يتحول اشتراط وجود الأولياء إلى عائق فى تحقيق الزواج، فقد عالج الإسلام هذه المشكلة:

١- فى حالة عدم وجود الولى أصلا، فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا نكاح إلا بولىّ، والسلطان ولىّ من لا ولىَّ له**» رواه أحمد.

يقول ابن تيمية: «وأما من لا ولىّ لها، فإن كان فى القرية أو المحلة نائب حاكم زوّجها هو، وأمير الأعراب، ورئيس القرية، وإذا كان فيهم إمام مطاع زوّجها أيضا بإذنها والله أعلم»(١).

٢- وإذا كان الولى غائبا لسبب السفر فيقول ابن تيمية: «إن غاب غيبة بعيدة انتقلت الولاية إلى الأبعد، أو الحاكم»(٢).

ويقول الخرقى: «إذا كان وليها غائبًا فى موضع لا يصل إليه الكتاب، أو يصل فلا يجيب عنه، زوّجها من هو أبعد منه من عصبتها، فإن لم يكن فالسلطان»(٣).

---

(١) الفتاوى جـ ٣٢ ص٣٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المغنى جـ٦ ص٤٨٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- وفى حالة فقده أو أسره أو حبسه، فيقول ابن قدامة: «وإن كان القريب محبوسًا أو أسيرًا فى مسافة قريبة لا تمكن مراجعته فهو كالبعيد.. فإن البعد لم يعتبر بعينه، بل لتتندر الوصول إلى التزويج بنظره، وهذا موجود هنا، ولذلك إن كان غائبًا لا يعلم قريب أم بعيد، أو يعلم أنه قريب ولم يعلم مكانه فهو كالبعيد»(١).

ويقول الأوزاعى: «والظاهر أنه لو كان فى البلد فى سجن السلطان، وتعذر الوصول إليه أن القاضى يزوّج، ويزوج القاضى أيضا عن المفقود الذى لا يُعرف مكانه ولا موته ولا حياته، لتتندر نكاحها من جهته فأشبه ما إذا عضل»(٢).

٤- وأما إذا قام فى حق الولىِّ سبب من الأسباب المانعة للولاية فيقول النووى: «لا ولاية لرقيق وصبى ومجنون ومختل النظر بهرم أو خبل، وكذا محجور عليه بسفه على المذهب، ومتى كان الأقرب ببعض هذه الصفات فالولاية للأبعد، والإغماء إن كان لا يدوم غالبا انتظر إفاقته، وإن كان يدوم أيامًا انتظر، وقيل للأبعد»(٣).

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) مغنى المحتاج على متن المنهاج للشربينى الخطيب جـ٣ ص ١٥٧.

(٣) قيل للأبعد: أى لا تُنتظر إفاقته بل تنتقل للأبعد. المنهاج جـ٣ ص١٥٤ - ١٥٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سوء تصرف الأولياء

١- قد لا يتفق أولياء المرأة على تزويجها من شخص معين لذلك وضع النبى (ﷺ) حلا لهذه المشكلة فقال: «**فإن اشتجروا (الأولياء) فالسلطان وليّ من لا وليّ له**» الترمذى - حديث حسن.

ويقول ابن عبدالبر: «فإن كان الأولياء فى التعدد سواء، كان أولاهم بذلك أفضلهم. فإن استووا فى الدرجة والفضل وتشاحوا، نظر الحاكم فى ذلك، فما رآه سداداً ونظرا أنفذه وعقده أو ردّه إلى من يعقد منهم»(١).

٢- عَضْلُ الأولياء بسبب حميتهم فأمرت الشريعة أن لا يردّ الأولياء الخاطب إذا كان كفؤًا صالحًا وقد رضيت به البنت، ويكون ردّه بسبب حميتهم. وروى البخارى عن معقل بن يَّسار قال: زوَّجت أختا لى من رجل فطلّقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له: زوجتك وأفرشتك فطلقتها، ثم جئت تخطبها، لا، والله، لا تعود إليك أبداً، وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: «فلا تعضلوهن» فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، قال: **فزوجها إياه**» البخارى.

يقول الطبرى: «... والصواب من القول إن فى هذه الآية أن

(١) الكافى لابن عبدالبر جـ ٢ ص٥٢٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقال إن الله تعالى ذكره، أنزلها دلالة على تحريمه على أولياء النساء مضارة من كانوا له أولياء من النساء يعضلهن عمن أردن نكاحه من أزواج كانوا لهن فَبِنَّ منهنَّ بما تبين به المرأة من زوجها من طلاق أو فسخ نكاح»(١).

وقال ابن حجر: «وفى حديث معضل أن الوليّ إذا عَضَل لا يزوج السلطان إلا بعد أن يأمره بالرجوع عن العضل، فإن أجاب فذاك، وإن أصر زوج عليه الحاكم والله أعلم»(٢).

٣- العضل بسبب المال.. إذا أخر الولى تزوج موليته بسبب حرصه على المال، فقد تحقق العضل منه، وكان للبنت أن تتقدم إلى الحاكم ليتولى تزويجها إذا أصر الولى على العضل.

يقول ابن قدامة: «لا نعلم خلافا بين أهل العلم فى أن للسلطان ولاية تزويج المرأة عند عدم أوليائها، أو عضلهم، وبه قال مالك والشافعى، وإسحاق، وأبو عبيد، وأصحاب الرأى»(٣). ويقول المباركفورى: «الولى إذا امتنع من التزويج فكأنه لا ولى لها، فيكون السلطان وليها»(٤). ويقول ابن تيمية: «وإذا رضيت

---

(١) تفسير الطبرى جـ٢ ص٢٩٩.
(٢) فتح البارى جـ٩ ص١٨٨.
(٣) المغنى جـ٦ ص٤٦٠.
(٤) تحفة الأحوزى جـ٢ ص١٧٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رجلاً وكان كفؤاً لها، وجب على وليها أن يزوجها به، فإن عضلها أو امتنع عن تزويجها زوجها الولى الأبعد منه، أو الحاكم بغير إذنه، باتفاق العلماء، فليس للولى أن يجبرها على نكاح من لا ترضاه، ولا يعضلها عن نكاح من ترضاه إذا كان كفؤا باتفاق الأمة»(١).

(١) الفتاوى ص٣٢، ص٥٢، ٥٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثالث

المودة والرحمة

ينبغى أن يتم الزواج على بصيرة ومعرفة، وتشاور وتفاهم، وينبنى على أسس ثابتة، منها:

١- النظر إلى المخطوبة لتدوم المودة، وتقع الألفة، وتزداد المحبة لقول رسول الله ﷺ للمغيرة بن شعبة: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**» الترمذى - حديث حسن.

ولا ينظر إلا لوجهها وكفيها كما ذكر النووى وابن قدامة: «ولا خلاف بين أهل العلم فى إباحة النظر إلى وجهها، وذلك لأنه ليس بعورة، وهو مجمع المحاسن، وموضع النظر، ولا يباح له النظر إلى ما لا يظهر عادة» فيكفى الوجه عن حسن صاحبه أو قبحه، والكفان ينئبان عن خصوبة الجسد وصلابته، فلا ينبغى التجاوز إلى غيرهما، وإذا أراد المزيد على ذلك فليكن عن طريق امرأة كما قال النبى (ﷺ): «**شُمِّى عوارضها، وانظرى إلى عرقوبها**» المستدرك على الصحيحين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- أن تنظر المخطوبة إلى الخاطب فإنها يعجبها منه ما يعجبه منها وقد ذكر ابن القيم «أن المغيرة بن شعبة وفتى من العرب خطبا امرأة وكان الفتى جميلا فأرسلت إليهما المرأة لابد أن أراكما، وأسمع كلامكما، فاحضرا إن شئتما، فأجلستهما بحيث تراهما، فعلم المغيرة أنها تؤثر عليه الفتى فأقبل عليه، فقال: لقد أوتيت حسنًا وجمالاً وبيانًا، فهل عندك سوى ذلك؟، قال: نعم فعدّد عليه محاسنه ثم سكت، فقال المغيرة: كيف حسابك؟ لا يسقط عليّ منه شيء، وإني لا أستدرك منه أقلّ من الخردلة.

فقال له المغيرة: أضع البدرة في زاوية البيت، فينفقها أهل بيتي على ما يريدون فما أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها، فقالت المرأة: «والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحبّ إليّ من الذي يحصي عليّ أدنى من الخردلة، فتزوجت المغيرة»(١).

٣- الوسطية في التعرف بين الخاطبين، فلم يقف لدى الغموض المطلق، والجهالة التامة، ولم يبلغ الإباحية باسم التعرف على المخطوبة. وإذا كان من الناس من يدعو إلى الاختلاط بين الخاطبين والزيارات فيما بينهما بحجة إعطاء الفرصة لهما حتى يفهم كل واحد منهما الآخر، فتقل احتمالات حدوث الشقاق،

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم ص٢٧ - ٣٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتؤسس حياتهما على المحبة والوداد والإخلاص والوفاء، فهذه الدعوى تخفى وراء بريقها الزائف الفساد والخراب.

الاستئمار قبل التزويج

– أمر رسول الله ﷺ أولياء البنات باستئمارهن قبل تزويجهن فى حديث عائشة التى سألته عن الجارية ينكحها أهلها أتُستأمر أم لا؟ فقال لها (ﷺ): «**نعم تُستأمر**» فقالت عائشة: فقلت له: فإنها تستحى، فقال (ﷺ): «**فذلك إذنها، إذا هى سكتت**» رواه مسلم. وقال (ﷺ): «**لاتُنكح الثيب حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن وإذنها الصموت**» الترمذى.

ويقول ابن تيمية: «وأما الأب والجد فينبغى لهما استئذانهما، واختلف العلماء فى استئذانهما هل هو واجب أو مستحب؟ والصحيح أنه واجب»(١).

– ولا تجبر البكر البالغ على النكاح، وألا تزوج إلا برضاها، ولذلك يقول ابن تيمية: «وأما تزويجها مع كراهتها للنكاح فهذا مخالف للأصول والعقول، والله لم يسوِّغ لوليها أن يكرهها على بيع أو إجارة إلا بإذنها، ولا على طعام أو شراب أو لباس لا تريده، فكيف يكرهها على مباضعة من تكره مباضعته، ومعاشرة من تكره معاشرته، وقد جعل الله بين الزوجين مودة ورحمة؟».

(١) الفتاوى جـ٣٢ ص٤٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

– ولا يجوز أن تُزوج المرأة بكراً كانت أو ثيبا إلا بموافقتها، ولو تزوجت بالإجبار كان لها طلب فسخ النكاح، ويظهر من هذا حرص الشريعة على تأسيس الأسرة على أسس ثابتة.

– واستشارة الأم فى تزويج ابنتها مما يرسخ بنيان الأسرة فيقول صلوات الله وسلامه عليه: «**آمروا النساء فى بناتهن**» رواه أبو داود.

وذلك أن البنت قد لا تفصح عما يدور فى صدرها من التردد والاضطراب إلا لأمها؛ فاستشارة الأم هى الطريقة المفيدة لمعرفة رأى البنت.

واجبات الزوجية

أمرت الشريعة الزوجين أن يعامل كل منهما الآخر معاملة حسنة كريمة، وأن يحفظ حق الآخر، فقال (ﷺ) للرجال: «**واستوصوا بالنساء خيراً**» رواه مسلم. وقال: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم**» الترمذى. وقال للنساء: «**لو كنت آمراً أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**» الترمذى.

وحتى يسود الوداد فى الحياة العائلية ينبغى ما يأتى:

١- حسن مظهر المرأة: ظهور الزوجة بالمظهر اللائق أمام الزوج، فخير النساء هى التى تسر زوجها بمنظرها فلقد قيل لرسول الله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ﷺ : أى النساء خير؟ قال : «**التى تسُّره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه فى نفسها ومالها بما يكره**» رواه النسائى . وظهور الزوجة بالمظهر اللائق يدخل السرور على الزوج، فذوات الأزواج يحسن منهنّ التزين للأزواج، وإهمال الزوجة للتنظيف والتزين المطلوب يسبب النفرة بين الزوجين لذلك قال (ﷺ) : «**إذا طال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً**» البخارى، لكى تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة . .

ففى الحديث الحث على التواد والتحاب بين الزوجين وينبع ذلك من المظهر الحسن الجميل . . وكثير من النساء يهملن هذا الأمر المهم، ويبذلن وقتا طويلا لإصلاح أحوالهن، وتسريح شعورهن، وتصبيغ وجوههن بألوان مختلفة وقت الخروج إلى الأسواق أو للزيارات، ويهملن مظهرهن وإصلاح أحوالهن للأزواج، ثم يشتكين رغبة الأزواج عنهن.

٢- **حسن مظهر الرجل** : ولا يقتصر الاهتمام بالمظهر الملائم على الزوجة، بل يجب على الزوج أن يهتم بإصلاح حاله كما قال ابن عباس : « إنى لأحبّ أن أتزيّن للمرأة كما أحبّ أن تتزين لى : لأن الله يقول : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف »[١] . . وتتفاوت أحوال الرجال فى الزينة فإنهم يتزينون على الليق والوفاق .

---

(١) الطبرى جـ٤ ص ٥٣٢ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٣- حسن التبعل: ولكى يكون الزواج أغض للبصر، وأحصن للفرج أكدت الشريعة على المرأة إجابة زوجها إذا دعاها. قال ﷺ «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته، فلتأته وإن كانت على التنور**» الترمذى، وحذر (ﷺ) من عدم إجابة الدعوة فقال: «**والذى نفس محمد بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها**» رواه مسلم. والملائكة تلعن الزوجة عند عدم استجابتها قال (ﷺ): «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجىء لعنتها الملائكة حتى تصبح**»، وفى رواية «**إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع**» الحديثان فى البخارى.

وصلاة الزوجة لا تُقبل إذا لم تستجب لزوجها فقد ورد فى حديث جابر، رفعه: «ثلاثة لا تقبل لهم صلاة، ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع، والسكران حتى يصحو، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى»[1]. ولكى يؤدى الزواج دوره المنشود فى منع الوقوع فى الفاحشة أمر الزوجة ألا تشتغل بالنوافل وتهمل حق الزوج، فلقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: زوجى صفوان بن المعطل يضرب بنى إذا صليت، ويفطرنى إذا صمت، ولا يصلى الفجر حتى تطلع الشمس، قال: وصفوان عنده، فسأله عما قالت: فقال: يا رسول

(١) ابن خزيمة وابن حيان نقلا عن الفتح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله، أما قولها: يضربني إذا صليت، فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها، فقال له رسول الله ﷺ: «**لو كانت سورة واحدة لكفت الناس**» قال: وأما قولها: يفطرني إذا صمت، فإنها تنطلق تصوم وأنا رجل شاب، فلا أصبر، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصوم المرأة إلا بإذن زوجها**» وأما قولها: إني لا أصلي حتى تطلع الشمس، فإنا أهل بيت عرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس قال: «**فإذا استيقظت ياصفوان فصلِّ**» رواه أبو داود.

فالمرأة لا تطيل صلاتها النافلة حيث يتضرر بها الزوج، ولا تصوم صوم النفل وزوجها شاهد إلا بإذنه.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن رجل له زوجة تصوم النهار، وتقوم الليل، وكلما دعاها الرجل إلى فراشه تأبى عليه، وتقدم صلاة الليل وصيام النهار على طاعة الزوج فأجاب: «لا يحل لها ذلك باتفاق المسلمين، بل يجب عليها أن تطيعه إذا طلبها إلى الفراش، وذلك فرض واجب عليها، وأما قيام الليل وصيام النهار فتطوع، فكيف تقدم مؤمنة النافلة على الفريضة؟[1] وللرجل عليها أن يتمتع بها متى شاء ما لم يضر بها أو يشغلها عن واجب، فيجب أن تمكنه كذلك»[2].

---

(١) الفتاوى جـ٣٢ ص٢٧٤.

(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ص١٦٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- **حق المرأة**: طالب الإسلام الرجل بأن يؤدى إلى الزوجة حقها، وأن يعفها ويغنيها عن التطلع إلى غيره.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى بيان حق المرأة على زوجها: «فإن للمرأة على الرجل حقًا فى ماله وهو الصداق، والنفقة بالمعروف، وحقًّا فى بدنه، وهو العشرة والمتعة، بحيث لو آلى منها استحقت الفرقة بإجماع المسلمين، وكذلك لو كان مجبوبًا أو عنينًا لا يمكنه جماعها فلها الفرقة، ووطؤها واجب عليه عند أكثر العلماء، وقد قيل إنه لا يجب اكتفاء بالباعث الطبيعى، والصواب: أنه واجب كما دل عليه الكتاب والسنة والأصول»(١).

(١) نفس المرجع.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الباب الثانى

آداب النـــكاح

الفصل الأول: بين النكاح والسفاح

الفصل الثانى: صيانة الزوجة

الفصل الثالث: طهر الحياة الزوجية

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الأول
بين النكاح والسفاح

أولاً: آداب النكاح

أحاطت الشريعة النكاح بآداب تميزه عن السفاح منها:

١- إعلان النكاح

فقد قال ﷺ: «**أعلنوا النكاح**»(١)

قال ابن عبد البر: «ومن فرض النكاح عند مالك إعلانه لحفظ النسب، والولى والصداق من أركان النكاح، ونكاح السّر لا يجوز، ويفسح قبل الدخول وبعده إذا وقع إلا أن يعلن قبل أن يعثر عليه»(٢).

وقال ابن القيم: «وشرط فى النكاح شروطا زائدة على مجرد العقد، فقطع عنه شبه بعض أنواع السفاح، كاشتراط إعلانه، إما بالشهادة، أو بترك الكتمان، أو بهما، واشتراط الولى، ومنع المرأة

---

(١) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والطبرانى وأبو نعيم والحاكم.

(٢) الكافى فى فقه المالكى جـ ٢ ص ٥٢٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن تليه، وندب إلى إظهاره، حتى استحب فيه الدفّ، والصوت، والوليمة، وأوجب فيه المهر، ومنع هبة المرأة لغير النبى ﷺ.

وسّر ذلك، أن فى ضد ذلك، والإخلال به ذريعة إلى وقوع السفاح بصورة النكاح، كما فى الأثر (إن الزانية هى التى تزوج نفسها) فإنه لا تشاء زانية تقول: زوجتك نفسى بكذا سرًّا من وليها، بغير شهود، ولا إعلان، ولا وليمة، ولا دفّ، ولا صوت - إلا فعلت، ومعلوم قطعًا أن مفسدة الزنا لا تنتفى بقولها: أنكحتك نفسى، أو زوجتك نفسى، أو أبحتك منى كذا وكذا، فلو انتفت مفسدة الزنا بذلك لكان هذا من أيسر الأمور عليها وعلى الرجل، فعظَّم الشارع أمر هذا العقد، وسدّ الذريعة إلى مشابهة الزنا بكل طريق»(١).

٢- النكاح فى المساجد

قال ﷺ: «**أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه فى المساجد، واضربوا عليه بالدفوف**» الترمذى.

وجعل النكاح فى المساجد إما لأنه أدعى إلى الإعلان، أو لحصول بركة المكان، وينبغى أن يراعى فيه فضيلة الزمان ليكون نوراً على نور، وسروراً على سرور.

قال ابن الهمام: «يستحب مباشرة عقد النكاح فى المسجد

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان تحقيق الفقى جـ ١ ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لكونه عبادة، وكونه فى يوم الجمعة، وهو إما تفاؤلاً للاجتماع، أو توقع زيادة الثواب، أو لأنه يحصل به كمال الإعلان[1]، ورأى رسول الله ﷺ جماعة فى المسجد، فقال: **ما هذا؟** قالوا: نكاح - قال: **هذا النكاح ليس بالسفاح**»[2].

٣- الشهود

لقد اشترطت الشريعة الإسلامية وجود الشهود فى عقد النكاح، لقطع شبهة السفاح لما رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**البغايا اللاتى ينكحن أنفسهن بغير بينة**» رواه الترمذى.

ولما روته عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل**» رواه الدارقطنى.

ولما روى أيضًا أن عمر بن الخطاب أُتِى بنكاح لم يشهد عليه إلا رجل وامرأة فقال: «**هذا نكاح السر، ولا أجيزه، ولو كنت تقدمت فيه لرجمته**» رواه مالك.

والأحاديث وإن كانت ضعيفة إلا أنه يقوى بعضها بعضا.

قال الترمذى: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ ومن بعدهم من التابعين وغيرهم قالوا: «لا نكاح إلا بشهود» لم يختلف فى ذلك من رضى منهم «إلا قوم من المتأخرين»[3].

(١) مرقاة المفاتيح جـ٣ ص ٤٢٥.

(٢) المصنف للحافظ أبى بكر عبد الرزاق الصنعانى جـ٦ ص ١٨٧.

(٣) جامع الترمذى مع تحفة الأحوذى جـ٢ ص ١٧٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- خطبة

شرع رسول الله ﷺ الخطبة لحاجة النكاح لما تحققه من إشهار عن الزواج، وإعلان عنه، وذلك لأن الخطبة لا تكون إلا فى جمع من الناس تتحقق بتجمعهم العلانية.

يقول ابن قدامة: «ويستحب أن يخطب العائد أو غيره قبل التواجب ثم يكون العقد بعده» ثم يقول: «والمستحب أن يخطب بخطبة عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه التى قال فيها: علمنا رسول الله ﷺ التشهد فى الصلاة، والتشهد فى الحاجة، وكان الإمام أحمد بن حنبل إذا حضر عقد النكاح فلم يُخطب فيه بخطبة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قام وتركهم»(١).

إن الخطبة مبناها على التشهير، وجعل الشىء بمسمع ومرأى من الجمهور، والتشهير مما يُراد وجوده فى النكاح ليتميز من السفاح. وأيضًا فالخطبة لا تستعمل إلا فى الأمور المهمة، والاهتمام بالنكاح، وجعله أمرًا عظيمًا بينهم من أعظم المقاصد(٢).

٥- الوليمة

شرع رسول الله ﷺ دعوة الوليمة بمناسبة الزواج. روى مسلم

(١) المغنى جـ٦ ص ٥٢٦ - بتصرف.

(٢) حجة الله البالغة جـ ٢ ص ١٢٧ - ١٢٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن أنس ابن مالك أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على عهد رسول الله ﷺ على وزن نواة من ذهب، فقال له رسول الله ﷺ: «**أولم ولو بشاة**» وكذلك ذكره البخارى. ولما خطب علىٌّ فاطمة قال رسول الله ﷺ: «**إنه لابد للعرس من وليمة**».

يقول ولى الله الدهلوى فى الوليمة: «وفى ذلك مصالح كثيرة، منها: التلطف بإشاعة النكاح، وأنه على شرف الدخول بها، إذ لابد من الإشاعة لئلا يبقى محلا لوهم الواهم فى النسب وليتميز النكاح عن السفاح»(١).

وقد قال ﷺ: «**إذا دُعِىَ أحدكم إلى الوليمة فليأتها**» وفى رواية: «**فإن شاء طعم، وإن شاء ترك**».. فلما كانت الإجابة من الأصول التشريعية فعلى الناس أن ينقادوا ويمتثلوا ويطيعوا. وإلا لما تحققت المصلحة المقصودة بالأمر.

٦- الدف

روى الإمام أحمد عن أبى حَسَن: أن النبى ﷺ كان يكره نكاح السر حتى يُضربَ بدُفّ ويُقال: «**أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم**» رواه أحمد.

وعن محمد بن حاطب الجمحى قال: قال رسول الله ﷺ: «**فصل ما بين الحلال والحرام الدفّ والصوت**» الترمذى.

---

(١) حجة الله البالغة جـ ٢ ص ١٣٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالمراد هنا الترغيب إلى إعلان أمر النكاح بحيث لا يخفى على الأباعد، فالسنة إعلان النكاح بضرب الدف، وأصوات الحاضرين، بالتهنئة أو النغمة فى إنشاد الشعر المباح.

ويقول ولى الله الدهلوى: وفى ذلك مصلحة وهى أن النكاح والسفاح لما اتفقا فى قضاء الشهوة، ورضا الرجل والمرأة، وجب أن يؤمر بشيء يتحقق به الفرق بينهما بادى الرأى بحيث لا يبقى لأحد فيه كلام ولا خفاء(١).

ويحظر من الأغانى المهيجة للشرور، المشتملة على وصف الجمال والفجور، ومعاقرة الخمور فإن ذلك يحرم فى النكاح كما يحرم فى غيره(٢) وكذلك سائر الملاهى المحرمة ولا بأس بالغزل بمثل قول النبى ﷺ للأنصار:

أتيناكم أتيناكم ... فحيونا نحييكم
لولا الذهب الأحمر ... ما حلت بواديكم
ولولا الحنطة السوداء ... ما سرت عذاريكم

وليس على ما يصنعه الناس اليوم(٣).

---

(١) حجة الله البالغة ج٢ ص١٢٨.
(٢) نيل الأوطار جـ٦ ص ٢١٢.
(٣) المغنى جـ٦ ص ٥٢٧.

ثانيًا: النكاح المشابه للسفاح

هناك صور من النكاح حرّمها الإسلام لما تنطوى عليه من مشابهة السفاح. منها:

١- نكاح المتعة

نكاح المتعة: هو تزويج المرأة إلى أجل، فإذا انقضى الأجل وقعت الفرقة.

وقد حرّمته شريعة الإسلام لما فيه من تشابه بالسفاح.

روى البخارى أن عليا قال لابن عباس إن النبى ﷺ نهى عن المتعة، وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر.

وروى مسلم عن سيرة الجهنى أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس إنى قد أذنت لكم فى الاستمتاع بالنساء، وإن الله قد حرَّم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا**».

وروى ابن ماجة: لما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب الناس فقال: «إن رسول الله ﷺ أذن لنا فى المتعة ثلاثا، ثم حرّمها، والله لا أعلم أحداً يتمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة إلا أن يأتينى بأربعة يشهدون أن رسول الله أحلها بعد إذْ حرّمها».

وفى السنن الكبرى للبيهقى عن بسّام الصيرفىّ قال: سألت جعفر بن محمد عن المتعة فوصفتها، فقال لى: ذلك الزنا.

وإباحتها فى أول الأمر كانت قاصرة على ظروف خاصة ولم تكن عامة، فقد روى البخارى عن عبد الله بن مسعود قال: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس معنا شىء، فقلنا ألا نستخصى؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب».

فسبب الإباحة هو: الحاجة مع قلة الشىء. يؤيد ذلك حديث أبى ذر بإسناد حسن «**إنما كانت المتعة لحربنا وخوفنا**» وما رخّص ﷺ فيها إلا لعزبة كانت بالناس شديدة. ثم حرمها النبى ﷺ، واجتمعت الأمة على تحريمها.

يقول القرطبى: «الروايات كلها متفقة على أن زمن إباحة المتعة لم يطل، وأنه حرام، ثم أجمع السلف والخلف على تحريمها، إلا من لا يُلتفت إليه من الروافض».

ويقول القاضى عياض: «واتفق العلماء على أن المتعة كان نكاحًا إلى أجل لا ميراث فيها، وفراقها يحصل بانقضاء الأجل من غير طلاق، ووقع الإجماع بعد ذلك على تحريمها من جميع العلماء إلا الروافض».

فالمتعة حرام حرّمها الله على لسان نبيه ﷺ إلى يوم القيامة،

واتفقت الأمة على تحريمها، وهكذا باعدت الشريعة النكاح عن السفاح بتحريمها المتعة.

٢- المحلل

التحليل: هو تزوج أحد مطلقة غيره ثلاثًا، بقصد أن يطلقها بعد الوطء ليحل للمطلق الأول نكاحها.

وقد حرّمه الإسلام لما فيه من شبهة السفاح، وقد روى الترمذى عن عبد الله قال: «**لعن رسولُ الله ﷺ المحلل والمحلل له**».

قال القاضى: «المحلِّل الذى تزوج مطلقة الغير ثلاثًا على قصد أن يطلقها بعد الوطء ليحل للمطلِّق نكاحها، وكأنه يحللها على الزوج الأول بالنكاح والوطء.

والمحلَّلَ له: هو الزوج.

وإنما لعنهما لما فى ذلك من هتك المروءة، وقلة الحمية، والدلالة على خسة النفس وسقوطها.

أما بالنسبة إلى المحلل له فظاهر.

وأما بالنسبة إلى المحلل فلأنه يعير نفسه بالوطء بغرض الغير، فإنه إنما يطؤها ليعرضها لوطء المحلل له. ولذلك مثّله ﷺ بالتيس المستعار»(١).

---

(١) تحفة الأحوزى.

فى حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بالتيس المستعار؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **هو المحلل والمحلل له**»(١).

ويقول الصنعانى: «والحديث دليل على تحريم التحليل؛ لأنه لا يكون اللعن إلا على فاعل المحرم، وكل محرم منهى عنه، والنهى يقتضى فساد العقد، واللعن وإن كان ذلك للفاعل لكن عُلِّق بوصف يصح أن يكون علة الحكم»(٢).

وقال عمر: «لا أوتى بمحلّل ولا محلّل له إلا رجمتهما»(٣).

وسئل ابن عمر عن تحليل المرأة لزوجها. قال: ذلك السفاح، لو أدرككم عمر لثكلكم».

وسئل ابن عمر عن رجل طلق ابنة عم له، ثم رغب فيها وندم، فأراد أن يتزوجها رجل يحلها له. فقال: كلاهما زان وإن مكثا كذا وكذا، ذكر عشرين سنة، أو نحو ذلك إذا كان الله يعلم أنه يريد أن يحلها له»(٤).

---

(١) رواه ابن ماجه

(٢) سبل السلام.

(٣) ابن أبى شيبة وعبد الرازق.

(٤) المصنف لعبد الرازق.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسئل ابن عباس: كيف ترى فى رجل يحلها له؟ قال: من يخادع الله يخدعه» عبد الرزاق.

قال ابن تيمية: «دين الله أزكى وأطهر من أن يُحرِّم فرجًا من الفروج حتى يُستعار له تيس من التيوس، لا يُرْغَبُ فى نكاحه ولا مصاهرته، ولا يُرادُ بقاؤه مع المرأة أصْلاً، فينزُوَ عليها، وتحل بذلك. فإن هذا سفاح وزنى. كما سماه أصحاب رسول الله ﷺ فكيف يكون الحرام محلَّلاً؟... أم كيف يكون الخبيث مُطَيَّبًا؟ أم كيف يكون النجس مُطَهَّرًا؟

وغير خافٍ على من شرح الله صدره للإسلام، ونوَّر قلبه بالإيمان أن هذا من أقبح القبائح التى تأتى بها سياسة عاقل، فضلاً عن شرائع الأنبياء، لاسيما أفضل الشرائع، وأشرف المناهج»[1].

(١) الفتاوى إليه ذهب مالك، وأحمد والثورى، وأهل الظاهر، وغيرهم من الفقهاء، منهم الحسن، والنخعى، وقتادة، والليث، وابن المبارك، وهو الحق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثانى

صيانة الزوجة

لا ينبغى أن تتحول رابطة الزوجية إلى وسيلة لارتكاب الفاحشة، وذلك بإهمالها، وعدم إعطائها حقوقها أو الغياب عنها مدة طويلة غير محددة؛ لذلك اتخذت الشريعة الإسلامية وسائل الوقاية والحفظ للزوجة حتى تصان من السفاح وهى متلبسة بثوب النكاح. منها:

١- غياب الزوج

فى كتاب روضة المحبين، ونزهة المشتاقين قصة طريفة، ولكن بنى عليها الفقهاء أحكامًا إسلامية، ينقل ابن القيم القصة عن سعيد بن جبير رضى الله عنهم جميعًا قال:

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أمسى أخذ دُرَّته ثم طاف بالمدينة، فإذا رأى شيئًا ينكره أنكره، فبينما هو ذات ليلة يعسُّ إِذْ مرَّ بامرأة على سطح وهى تقول:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تطاول هذا الليل واخضلّ جانبه ... وأرقنى ألا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله لا ربّ غيره ... لحرك من هذا السرير جوانبه

مخافة ربى الحياء يصدنى ... وأُكرِمُ بَعْلِي أن تُنَال مراكبُه

ثم تنفست الصعداء وقالت: لهان على عمر بن الخطاب ما لقيت الليلة.

فضرب باب الدار. فقالت: من هذا الذى يأتى إلى امرأة مغيبة هذه الساعة؟

فقال رضى الله عنه: افتحى، فأبت، فلما أكثر عليها قالت: أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك، فلما رأى عفافها، قال: افتحى فأنا أمير المؤمنين، قالت: كذبت ما أنت بأمير المؤمنين. فرفع صوته، وجهر لها، فعرفت أنه هو، ففتحت له، فقال: هيه: كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قالت، فقال: أين زوجك؟ قالت: بُعث كذا وكذا، فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سرح فلان بن فلان، فلما قدم عليه قال: اذهب إلى أهلك.

ثم دخل على حفصة ابنته، فقال: أى بنية، كم تصبر المرأة عن زوجها؟ قالت: شهرا، واثنين، وثلاثة، وفى الرابع ينفد الصبر، فجعل ذلك أجلاً للبعث».

فيقول ابن القيم: «وهذا مطابق لجعل الله سبحانه وتعالى مدة الإيلاء أربعة أشهر.

فإنه – سبحانه وتعالى – يعلم أن صبر المرأة يضْعُف بعد الأربعة.. ولا تحتمل قوة صبرها أكثر من هذه المدة.

فَجعلها أجَلاً للمُولِى... وخيرّها بعد الأربعة.. إن شاءت أقامت معه.. وإن شاءت فسخت نكاحه.. فإذا مضت الأربعة أشهر عيل صبرها» روضة المحبين.

فإذا كان المجاهد لا يجوز له أن يغيب عن أهله لمدة أكثر من أربعة أشهر، أو ستة أشهر، فكيف يجوز الغياب لأكثر من هذه المدة لغير غرض الجهاد؟.

قيل للإمام أحمد حنبل: كم يغيب الرجل عن زوجته؟

قال: ستة أشهر، يُكتب إليه، فإن أبى أن يرجع فرق الحاكم بينهما». المغنى.

فإذا طلبت الزوجة بعد هذه المدة من الحاكم التفريق فَرَّق بينهما.

وعلى الأزواج الذين يهجرون نساءهم بالسنة والأكثر بحجة العمل فى أماكن نائية أن يتقين الله فى زوجاتهم حتى لا يتعرضْنَ للفاحشة، ثم لغضب الله ومقته!!.

٢- المفقود

قضى عمر بن الخطاب فى زوجة المفقود فقال: «أيما امرأة

فقدت زوجها، فلم تدر أين هو، فإنها تنتظر أربع سنين، ثم تعتد أربعة أشهر وعشرًا، ثم تحل» الموطأ.

وبذلك قضى عثمان بن عفان، وأفتى ابن عباس بذلك، ولكن سعيد ابن المسيب فرّق بين من فُقد أثناء القتال وغيره. فإذا فقد فى القتال على الزوجة أن تتربص مدة سنة واحدة.. وإذا فقد فى غير القتال فتنتظر مدة أربع سنوات.

أما زوجة الأسير فقد نقل البخارى عن الزهرى أن الأسير إن كان يعلم مكانه لا تتزوج امرأته، ولا يُقسّم ماله. فإذا انقطع خبره سنته سنة المفقود.

أما ابن تيمية فيرى فى الأسير والمحبوس ممن تعذّر انتفاع امرأته به إذا طلبت فرقته كالقول فى امرأة المفقود بالإجماع. كما قاله أبو محمد المقدسى.

هذه الأحكام كلها حتى لا تبقى الزوجة معلقة فتقع فى الفاحشة والعياذ بالله.

٣- الطلاق

الإسلام حريص على استدامة الحياة الزوجية. فيقول الرسول ﷺ: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**» أبو داود. ويقول: «**أيما امرأة سألت زوجها طلاقًا فى غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة**» الترمذى – حديث حسن.

ويقول ابن تيمية: «بل نفس الطلاق إذا لم تدع إليه حاجة منهى عنه باتفاق العلماء، إما نهى تحريم أو نهى تنزيه» الفتاوى.

وفى نفس الوقت لم يحرّم الإسلام الطلاق كما حرمته النصرانية حتى لا يدفع الزوجين إلى الوقوع فى الحرام.

وهذا ما يدفع إقامة الصلات غير المشروعة خارج نطاق الزوجية.

وذكر ابن كثير رواية ابن مردوية عن عائشة رضى الله عنها قالت: لم يكن للطلاق وقت، يطلّق الرجل امرأته ثم يراجعها ما لم تنقض العدة، وكان بين رجل من الأنصار وبين أهله بعض ما يكون بين الناس، فقال: والله، لأتركنك، لا أيِّمًا ولا ذات زوج، فجعل يطلقها حتى إذا كادت العدة أن تنقضى راجعها، ففعل ذلك مرارًا. فأنزل الله عز وجل فيه ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ [البقرة: ٢٢٩].

يقول ابن كثير معلقًا على الآية: «هذه الآية رافعة لما كان عليه الأمر فى ابتداء الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته، وإن طلقها مائة مرة، مادامت فى عدتها... فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرها الله إلى ثلاث طلقات، وأباح الرجعة فى المرة واثنتين، وأبان بالكلية فى الثالثة».

فالشريعة راعت حق الزوجة بتقييد حق الزوج فى تطليق المرأة والرجعة إليها، وقدمت ضمانًا للحيلولة بينها وبين الفاحشة.

٤- الإيلاء

هو أن يحلف الرجل أن لا يطأ امرأته مدة أربعة أشهر أو أكثر - وكان أهل الجاهلية، يحلف أحدهم على أن لا يقرب امرأته أبدًا، أو لمدة طويلة.

وفى هذا إيذاء للمرأة، وهضم لحقوقها كما يقول ابن عباس: كان إيلاء أهل الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك، يقصدون بذلك إيذاء المرأة عند المساءة» القرطبى.

فأنزل الله تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٢٦، ٢٢٧].

يقول ابن كثير: «الإيلاء: الحلف، فإذا حلف الرجل أن لا يُجامع زوجته مدة، فلا يخلو إما أن يكون أقل من أربعة أشهر، أو أكثر منها، فإن كانت أقل فله أن ينتظر انقضاء المدة ثم يُجامع امرأته، وعليها أن تصبر، وليس لها مطالبته بالفيئة فى هذه المدة، فأما إن زادت المدة على أربعة أشهر فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر إما أن يفىء أى يجامع، وإما أن يطلق..».

فإن أبى الزوج المولى – الذى حلف على عدم الاقتراب من امرأته – اختيار أحد الأمرين: الإمساك بالمعروف أو الطلاق، يجبره الحاكم على أن يُطلِّق، وذلك حتى لا تبقى المرأة معلقة.

فإن أبى أن يطلق طلَّق عليه الحاكم. وتكون طلقة رجعية له رجعتها فى العدة وفى هذا كمال رعاية حقوق الزوجة حتى لا تُدفع بسوء ممارسة الزوج إلى الفاحشة.

٥- الظهار

فى الجاهلية كان إذا غضب الرجل على زوجته قال لها: أنت علىّ كظهر أمى، أو أختى.. فكانت المرأة تحرم عليه كما تحرم على غيره حرمة مؤبدة.

يقول الشربينى الخطيب: «كان طلاقًا فى الجاهلية، وقيل فى أول الإسلام، ويُقال: كانوا فى الجاهلية إذا كره أحدهم امرأته، ولم يُرد أن تتزوج بغيره آلى منها أو ظاهر، فتبقى لا ذات زوج ولا خلية تنكح غيره» مغنى المحتاج.

فوقعت مثل هذه الواقعة فى زمن النبى ﷺ واستُفتى فيها فأنزل الله تعالى بيانًا لهذا الأمر.

روى أبو داود فى سننه عن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت: ظاهر منى أوس بن ثابت، فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ورسول الله ﷺ يجادلني فيه. ويقول: «اتقي الله فإنه ابن عمك، فما برحت حتى نزل القرآن: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

فدلت هذه الآيات على أن الظهار حرام لأن الله سماه «منكرا من القول وزوراً» وأنه إذا ظاهر الرجل امرأته حرم عليه إتيانها حتى يكفر كفارة الظهار لقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة: ٣] وتجب على المظاهر الكفارة بالعود لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ [المجادلة: ٣] وذلك حتى لا يكرر مثل هذا القول.. وجعلت الكفارة عتق رقبة، أو إطعام ستين مسكيناً، أو صيام شهرين متتابعين، لأن مقاصد الكفارة أن يكون بين عيني المكلف ما يكبحه عن الاقتحام في الفعل خشية أن يلزمه ذلك، ولا يمكن ذلك، إلا بكونها طاعة شاقة تغلب على النفس، إما من جهة كونها بذل مال يشح به، أو من جهة مقاساة جوع وعطش مفرطين» حجة الله البالغة.

٦- الخلع

هو الافتداء إذا كرهت المرأة زوجها، فخافت ألا توفيه حقه، أو أن يبغضها، فلها أن تفتدي منه.

فإذا تشاقق الزوجان، ولم تقم المرأة بحقوق الرجل، وأبغضته،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولم تقدر على معاشرته، فلها أن تفتدى منه، بما أعطاها، ولا حرج عليها فى بذلها له، ولا حرج عليه فى قبول ذلك منها، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ **وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٢٩] تفسير ابن كثير.

وروى البخارى عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبى ﷺ، فقالت: يا رسول الله! ثابت بن قيس، ما أعتب عليه فى خلق ولا دين، ولكنى أكره الكفر فى الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **أتردين عليه حديقته؟** قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ: «**اقبل الحديقة وطلقها تطليقة**».

– يحرم على الأزواج الإضرار بالزوجة حتى تلجأ إلى الافتداء.

يقول الإمام مالك: «إنه إذا علم أن زوجها أضر بها، وضيق عليها، وعلم أنه ظالم بها، مضى الطلاق، وردّ عليها مالها.. فهذا الذى كنت أسمع، والذى عليه أمر الناس عندنا» الموطأ.

ويقول ابن قدامة: «فإنما إن عضل زوجته، وضارها بالضرب، والتضييق عليها، أو منعها من حقوقها. من النفقة والقَسَم، ونحو ذلك، لتفتدى نفسها منه، ففعلت، فالخلع باطل، والعوض مردود، روى ذلك عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، والشعبى، والنخعى، والقاسم بن محمد، وعروة، وعمرو بن شعيب،

وحميد بن عبد الرحمن، والزهرى، وبه قال مالك، والثورى، وقتادة، والشافعى، وإسحاق » المغنى.

إذا فقدت الحياة الزوجية جوهرها من التعاطف والتواد والسكن فيجب على الزوج إجابة طلب الزوجة إذا طلبت المخالعة منه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثالث

طهر الحياة الزوجية

يتطلب النكاح لأداء دوره المنشود بعض الآداب، منها:

١- عَدَمُ مُنَاكَحَةِ الزُّنَاةِ

لا يليق بالمؤمن العفيف أن يتزوج بالفاسقة أو الفاجرة، كما لا يليق بالعفيفة أن تتزوج بالفاسق أو الفاجر من الرجال.

فحرمة الزواج بالزانية منقولة عن على، والبراء، وعائشة، وابن مسعود، لأن آية: «**الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة...**» ظاهرها الخبر، وحقيقتها النهى والتحريم بدليل آخر الآية: «**وحُرِّم ذلك على المؤمنين**».

وإذا زنى الرجل فُرِّق بينه وبين امرأته، وكذلك إذا زنت المرأة فُرِّق بينها وبين بعْلها.

ولما جاء مرثد بن أبى مرثد يستأذن النبى ﷺ فى الزواج من «عناق» وكانت من بغايا الجاهلية، فلم يرد عليه حتى نزلت الآية الكريمة. فقال: يا مرثد لا تنكحها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول ابن القيم: «وأما نكاح الزانية فقد صرح الله سبحانه وتعالى بتحريمه فى سورة النور، وأخبر أن من نكحها فهو إما زان، أو مشرك. فإنه إما أن يلتزم حكمه سبحانه ويعتقد وجوبه عليه أو لا. فإن لم يلتزمه ولم يعتقده فهو مشرك، وإن التزمه واعتقد وجوبه وخالفه فهو زان. ثم صرح بتحريمه فقال: «**وحرِّم ذلك على المؤمنين**». ومما يدل على تحريم مناكحة الزانيات من النساء أن الله أحلّ نكاح النساء بشرط الإحصان. يقول الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا**﴾ [المائدة: ٥](١).

ويقول ابن تيمية: «والمسافح الزانى الذى يسفح ماءه مع هذه وهذه – وكذلك المسافحة، والمتخذ الخدن الذى تكون له صديقة يزنى بها دون غيره فشرط فى الحل أن يكون الرجل غير مسافح ولا متخذ خدن». «واشترط هذه الشروط فى الرجال هنا كما اشترطه فى النساء هناك»(٢). فالإسلام حرم مناكحة الزناة حتى يؤدى النكاح دوره الصحيح، ولا يكون بذاته سببًا لانتشار الفاحشة.

---

(١) زاد المعاد.

(٢) الفتاوى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- السِّتْرُ

روى أبو داود عن بهز بن حكيم عن أبيه عن حيرة قال: قلت يا رسول الله! عوراتنا ما نأتى منها وما نذر؟ قال: «**احفظ عورتك إلا عن زوجتك أو ما ملكت يمينك**» قلت: يا رسول الله، وإذا كان القوم بعضهم فى بعض؟ قال: «**فإن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها**» **قلت: يا رسول الله: فإن كان أحدنا خاليًا. قال: «فإن الله أحق أن يستحيا منه»**.

فى الحديث الأمر بستر العورة فى جميع الأحوال، ولكنه ينبغى الاقتصار على كشف المقدار الذى تدعو الضرورة إليه حال الجماع، لأن لزوم فرض ستر العورة وردت به الآثار عن النبى ﷺ، وحرّم النظر إليها روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة**».

ولأن الأصل فى الإسلام سترها لما فى كشفها والنظر إليها من إثارة الشهوات ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا**﴾ [الأعراف: ٢٦] فالآية تدل على فرض ستر العورة، لأنه أخبر سبحانه أنه أنزل علينا لباسًا لنوارى به سوءاتنا.

وحينما أباحت الشريعة العلاقات الجنسية فى النكاح حرصت

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أن تمارس فى غاية السَرْية والخفاء، بعيداً عن الأنظار والأسماع، وحرمت إفشاء أسرار الزوجية، والتفاخر بالجماع لأن شأن هذه الأمور أن تثير الشهوات.. ذكر ابن قدامة حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء غطى رأسه، وإذا أتى أهله غطى رأسه، ولا يُجامع بحيث يراهُما أحد، أو يْسَمع حِسَّهُمَا، ولا يقبلْها ويباشرها عند الناس» ثم قال عن الإمام أحمد: «ما يعجبنى إلا أن يكتم هذا كله». وقال الحسن فى الذى يُجامع المرأة والأخرى تسمع، قال: «كانوا يكرهون الوجس وهو الصوت الخفى» المغنى.

ولا يجوز التحدث بما يجرى بين الزوجين. روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يُفضى إلى امرأته، وتفضى إليه ثم ينشر سرّها**».

وروى أحمد وأبو داود عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ صلى، فلما سلّم أقبل عليهم بوجهه، فقال: «**مجالسكم، هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه، وأرخى ستره، ثم يخرج فيحدث، فيقول: فعلت بأهلى كذا؟**» فسكتوا، فأقبل على النساء، فقال: هل منكن من تحدِّث؟ فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها، وتطاولت ليراها رسول الله ﷺ ويسمع كلامها، فقالت: أى والله

إنهم ليتحدثون، وإنهن ليتحدثن، فقال: «**هل تدرون ما مثل من فعل ذلك؟ مثل شيطان وشيطانة، لقى أحدهما صاحبه بالسكة فقضى حاجته منها. والناس ينظرون**».

والحديثان يدلان على تحريم إفشاء أحد الزوجين لما يقع بينهما من أمور الجماع.. وكذلك حرمة الجماع بمرأى من الناس.

فأين هذا من انتشار الأفلام الجنسية، والمجلات والجرائد التى تعرض الأوضاع الجنسية والمناظر الباهتة الخليعة الماجنة؟! وللأسف قد سرى هذا بين المسلمين والمسلمات ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣- العيوب

قد يوجد فى أحد الزوجين بعض العيوب المنفرة فأعطى الإسلام الزوج الحق فى فسخ النكاح - قال عمر: «من تزوج امرأة وبها برص أو جذام، أو جنون، فدخل بها فلها الصداق بما استحل من فرجها، وذلك غرم على وليها». وللزوجة الحق فى طلب التفريق لوجود عيب فى زوجها، قال سعيد ابن المسيب: «أيما رجل تزوج امرأة وبه جنون، أو ضرر، فإنها تخير، فإن شاءت قرّت، وإن شاءت فارقت» الموطأ.

ويقول ابن تيمية: «وإذا ظهر بأحد الزوجين جنون، أو جذام، أو برص، فللآخر فسخ النكاح»(١).

(١) الفتاوى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول ابن القيم: «إن كل عيب ينفر الزوج الآخر منه، ولا يحصل به مقصود النكاح من الرحمة والمودة يوجب الخيار، وهو أولى من البيع، كما أن الشروط المشروطة فى النكاح أولى من شروط البيع. وما ألزم الله ورسوله مغروراً قط، ولا مغبونا بما غر به وغبن به، ومن تدبر مقاصد الشرع فى مصادره، وموارده، وعدله، وحكمته، وما اشتمل عليه من المصالح لم يخف عليه رجحان هذا القول، وقربه من قواعد الشريعة»(١).

فالشريعة لا تبيح الخنا والوقوع فى الفاحشة تحت أى ظرف بل تعمل على تهيئة مناخ الطهر بين الزوجين، وتبيح فَكّ الرابطة الزوجية عند حدوث الضرر حتى تحول دون انتشار الفاحشة.

٤- التعدد

إن الرجل قد لا تندفع شهوته بالزوجة الواحدة، فأباح الله له واحدة بعد واحدة حتى يبلغن أربعًا، حتى لا يقيم الزوج الصلات مع الخليلات، قال تعالى: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾ [النساء: ٣] والإسلام ليس أول دين أباح التعدد، بل كان مباحًا فى الشرائع القديمة، ومأثوراً عن الأنبياء من عهد إبراهيم عليه السلام إلى عهد الميلاد. فالإسلام لم

(١) زاد المعاد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يأت ببدعة فيما أباحه للرجل من التعدد، وإنما أتى ليصلح الفوضى من هذه الإباحية المطلقة من كل قيد – يقول «جوستاف لوبون»: «إن مبدأ تعدد الزوجات ليس خاصًا بالإسلام، فقد عرفه اليهود والفرس، والعرب وغيرهم من أمم الشرق قبل ظهور محمد ﷺ» حضارة العرب.

إن فى تعدد الزوجات رحمة بالنساء، لأن عدد الرجال أقل من عدد النساء، ووجود المرأة كزوجة ثانية خير لها من أن تكون بدون زواج – يقول «برتراند راسل»: «إن نظام الزواج بامرأة واحدة، وتطبيقه تطبيقًا صارمًا قائم على أساس افتراض أن عدد أفراد الجنسين متساوٍ، ومادامت الحالة ليست كذلك فإن فى بقائه قسوة بالغة لأولئك اللاتى تضطرهن الظروف إلى البقاء عانسات» الزواج والأخلاق – لبرتداند راسل.

ويختتم كلامه الطويل فى مناقشة التعدد فيقول: «إن الإسلام حسَّن حال المرأة كثيرًا، وأنه أوَّلُ دين رفع شأنها، وأن المرأة فى الشرق أكثر احترامًا وثقافة وسعادة منها فى أوربا على العموم تقريبًا» المرجع السابق.

والتعدد فى الإسلام لم يبح إلا إذا أَمِنَ الرجل على نفسه الجور والظلم، ووثق من القيام بحقوقهن فإن خاف شيئًا من هذا، فليقتصر على واحدة. وقد أكدّ ﷺ ذلك فى قوله: «**إذا كانت**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » الترمذى.

وإذا قصّر الزوج فى حق زوجته كان لها حق الشكوى، فإذا ثبت تقصير الزوج طولب إما بإمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان. وهذا هو العدل الذى اشترطه الإسلام للتعدد، ثم إن الأمر للزوجة الجديدة فى قبول التعدد، ولا يستطيع أحد أن يجبرها على الزواج من رجل متزوج فالإسلام يَدَعُ الأمر لرضاها فإن قبلت عن طيب خاطر، فلن ينطوى هذا الأمر على ضرر ولا إهدار كرامة، ولا إجحاف حق... ثم إن للزوجة الأولى أن تشترط ألا يتزوج عليها فإن لم يف بالشرط كان لها حق الفراق كما يقول الخرقى: « وإن تزوجها وشرط لها أن لا يتزوج عليها، فلها فراقه إذا تزوج عليها » المغنى.. وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: « ولكن لامرأته ما شرط لها، فإن شاءت أن تقيم معه، وإن شاءت أن تفارقه » الفتاوى.

فالتعدد ليس خصمًا لحقوق المرأة، وإنما هو دفع لغوائل السفاح أن تسرى فى مجتمع الطهر والعفاف!.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الباب الثالث

نقاء البيت الإسلامى

الفصل الأول: الأسس العامة

الفصل الثانى: المرأة المسلمة

الفصل الثالث: وصية الرجال

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الأول

الأسس العامة

لنقاء البيت المسلم وعفته، والعمل على طهره وقوامته، لابد وأن ينتظم هذه التعليمات الإسلامية، حتى لا يقع فى اللوثات الأخلاقية، وجرائم السفاح المهلكة المردية. **ومن هذه الأسس:**

١- تأصيل الإيمان

﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

يربى الإسلام المؤمنين على مراقبة الله، والانقياد الكامل لحكمه، فيتبع الأوامر، ويجتنب النواهى ويتأصل الوازع الدينى فى أحشاء النفس، وسويداء القلب. حتى يحول بينه وبين الانغماس فى الشهوات، لاعتقاده أن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء؛ لأنه يعلم خائنة الأعين، وما تخفى الصدور، وتاريخ المؤمنين الأوائل، بل وعلى مرّ العصور زاخر بنماذج فريدة فى جميع الميادين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

روى الترمذى عن رجل يقال له مرثد بن أبى مرثد، يحمل الأسرى من مكة حتى يأتى بهم المدينة، وكانت امرأة بغى بمكة يقال لها «عناق» صديقة له، وأنه وعد رجلاً من أسارى مكة يحمله، قال: «فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة فى ليلة مقمرة، قال: فجاءت عناق، فأبصرت سواد رجل تحت حائط، فلما انتهت إلىّ عرفتنى، فقالت: مرثد، فقلت: مرثد، فقالت: مرحبًا وأهلاً. هَلُمّ. فبت عندنا الليلة. قال: قلت: يا عناق، حرَّم الله الزنا».

فإيمانه الفائق بالله منعه الوقوع فى الحرام، مع أن الفرصة سانحة وهو يحبها[1] حبًّا شديداً لكن حبه لها لم يجره إلى ارتكاب الفاحشة، ولم يضعف من إيمانه، ولا من خوف الله وتقواه وحسن مراقبته.

لقد تربى عند المؤمنين الوازع القوى، من خشية الله جل علاه، وكانت المعاصى مبغوضة منبوذة لديهم لأن أشواقهم العليا، صرفتهم عما يوجب سخطه، ولكن لحكمة علمها سبحانه كانت

---

(١) كرر مرثد استئذان النبى ﷺ فى نكاحها. قال: يا رسول الله أنكح عناقًا مرتين؟ فلم يرد عليه ﷺ حتى نزلت ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٢] وحرِّم ذلك على المؤمنين، وكثرة التكرار فى استئذان النكاح تدلل على حبه الشديد لها، ومع هذا فقد حجبه الإيمان على المعصية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تزل بعض النفوس فى حالة ضعفها.. وعندما تعود إليها صحتها وعافيتها، فإذا هى مستيقظة، فتأتى أمام ساحة العدالة الربانية معترفة بما فعلت فى صراحة منقطعة النظير، تريد التطهر من الإثم، والخلاص من الذنب، حتى ولو كان ثمن ذلك إزهاق النفوس وانتهاء رحلة الحياة، لأن الأبصار ترنو إلى ما هو أعلى وأكرم، وأنقى وأعظم.

روى مسلم فى صحيحه عن بريدة أن ماعز بن مالك الأسلمى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى قد ظلمت نفسى وزنيت، وإنى أريد أن تطهرنى، فردّه، فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله إنى قد زنيت فردّه ثانية، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه فقال: **أتعلمون بعقله بأسًا تذكرون منه شيئًا؟** فقالوا: ما نعلمه إلا وفىّ العمل من صالحينا. فيما نرى. فأتاه الثالثة. فأرسل إليهم أيضًا فسأل عنه فأخبروه: أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة، حفر له حفرة ثم أمر به فرُجم.

قال: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله إنى قد زنيت فطهرنى، وأنه ردَّها، فلما كان الغد، قالت: يا رسول الله، لِمَ تردنى؟ لعلك أن تردنى كما رددت ماعزًا، فوالله إنى لحبلى، قال: «**إما لا فاذهبى حتى تلدى**». فلما ولدت أتته بالصبى فى خرقة. قالت: هذا قد ولدته. قال: «**فاذهبى فأرضعيه حتى تفطميه**».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز. فقالت: هذا يا نبى الله قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبى إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحُفر إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها، فتنضح الدم على وجه خالد، فسبّها، فسمع نبى الله سبه إياها. فقال: «**مهلاً يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له**».

الإيمان الأصيل فى النفس هو الذى حدا بماعز والغامدية أن يجودا بنفسيهما، فالإيمان له أثره فى تطهير المجتمع من الجرائم والمعاصى.. لذلك فعلينا أن نذكى جذوته فى نفوسنا وقلوبنا حتى يُعزّ بنا ديننا، ويطهر مجتمعنا من غوائل الإثم، ولوثات السفاح.

٢- التعاون

حتى لا تضطر الفقيرة إلى اختيار الطرق المحرمة من الزنا وغيرها لسد جوعتها، وتلبية حاجتها أوجب الإسلام الإنفاق عليها، روى النسائى عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شىء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شىء فلذوى قرباتك، فإن فضل عن ذوى قرابتك فهكذا وهكذا**».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وروى مسلم عن أبى هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله، من أحق بحسن الصحبة؟ قال: «**أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أدناك أدناك**» وهذه هى مسئولية الأقارب فى الإنفاق على الفقير.

٣- الزكاة

إذا كان للفقير أقارب غير قادرين على الإنفاق عليه فقد قدرت الشريعة حقًا معلومًا فى أموال الأغنياء: ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]. وخاطب الله نبيه بقوله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ**﴾ [التوبة: ١٠٣]، وجعل الله مصارفها: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة ٦٠].

وروى البخارى عن ابن عباس: أن النبى ﷺ بعث معاذًا رضى الله عنه إلى اليمن، فقال: «**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* **التوزيع:**

قال الحافظ ابن حجر فى شرح حديث ابن عباس السابق: «استدل به على أن الإمام هو الذى يتولى قبض الزكاة وصرفها، إما بنفسه، وإما بنائبه، فمن امتنع أُخِذت منه قهراً» فتح البارى.

* **الحق:**

يقول النووى: «قال أصحابنا العراقيون، وكثيرون من الخراسانيين: يعطيان (الفقير والمسكين) ما يخرجهما من الحاجة إلى الغنى، وهو ما تحصل به الكفاية على الدوام. وهذا هو نص الشافعى رحمه». **ثم يقول:** «فإن لم يكن محترفًا ولا يُحسن صنعة أصلاً، ولا تجارة ولا شيئًا من أنواع المكاسب أُعطى كفاية العمر الغالب لأمثاله فى بلاده، ولا يتقدر بكفاية سنة» المجموع شرح المهذب.

* **المسئولية:**

الدولة مسئولة عن كفالة جميع الفقراء والمسلمين. روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل بالمتوفى عليه الدين، فيسأل: «**هل ترك لدينه فضلاً**؟ فإن حدث أنه ترك وفاء صلى، وإلا قال للمسلمين: «**صلُّوا على صاحبكم**» فلما فتح الله عليه الفتوح، قال: «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم**،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فمن تُوفى من المؤمنين، فترك دينًا فعلىّ قضاؤه»، ومنه يقول ابن حجر: «وأراد المصنف بإدخاله فى أبواب النفقات الإشارة إلى من مات وله أولاد، ولم يترك لهم شيئًا، فإن نفقتهم تجب فى بيت مال المسلمين» الفتح. فالإسلام لا يقف بالإنفاق على الفقير لدى ما يكفيه لقوت يومه، بل يتجاوز الحاجة إلى الكفاية فيعطى حتى يُغنى.

٤- تحريم أم الخبائث

الخمر ليست محرمة لذاتها فقط بل لأنها تجر إلى منكرات أخرى من شاربها، فإن فيها مفسدتين:

مفسدة فى الناس، حيث يلاحق شاربها القوم ويعدو عليهم.. ومفسدة فيما يرجع إلى تهذيب نفسه، فإنه يغوص فى بهيمية بزوال عقله الذى به قوام الإحسان، فيقدم على ارتكاب منكرات ما كان ليرتكبها لو لم يشرب الخمر. لذلك قال ﷺ: «**لا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر**» ابن ماجة.

ومن وصايا النبى ﷺ لمعاذ: «**ولا تشربنَّ خمْراً فإنه رأس كل فاحشة**». رواه أحمد.

وبيّن عثمان بن عفان رضى الله عنه تأثير الخمر فى ارتكاب الفاحشة فقال: «اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث إن رجلاً ممن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كان قبلكم يتعبد ويعتزل النساء، فعلقته امرأة غاوية، فأرسلت إليه، إنى أريد أن أشهدك بشهادة، فانطلق مع جاريتها، فجعل كلما دخل بابًا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة، وعندها باطية (إناء) فيها خمر فقالت: إنى والله ما دعوتك لشهادة، ولكن دعوتك لتقع علىّ، أو تشرب الخمر كأسًا، أو لتقتل هذا الغلام، وإلا صحت بك وفضحتك، فلما رأى أن ليس بُدٌّ من بعض ما قالت، قال: اسقنى من هذا الخمر كأسًا، فسقته: فقال: زيدينى كأسًا، فشرب، فسكر، فقتل الغلام، ووقع على المرأة، فاجتنبوا الخمر، فوالله لا يجتمع الإيمان، وإدمان الخمر فى قلب رجل، إلا أوشك أحدهما أن يخُرج صاحبه»(١).

قال بعض المغرمين فى الخمر:

لا يلذ السكر حتى ... يأكل السكران نعله

ويرى القطة فيلاً ... ويظن الفيل نمله

قال القرطبى: وإن الشارب يصير ضحكة للعقلاء، فيلعب ببوله وعذرته، وربما يمسح بها وجهه، حتى رؤى بعضهم يمسح وجهه ببوله. ويقول: اللهم اجعلنى من التوابين، واجعلنى من المتطهرين، ورؤى بعضهم والكلب يلمس وجهه وهو يقول له: أكرمك الله كما أكرمتنى.

(١) مصنف عبد الرزاق جـ ٩ ص ٢٣٦ ورواه النسائى جـ ٢ ص ٣١٥.

وكان قيس شرَّابًا للخمر، فى الجاهلية، ثم حرّمها على نفسه، وسبب ذلك: أنه غمز ابنته وهو سكران، وسبَّ أبويه، وأعطى ما معه من مالٍ للخمّار، فلما أفاق أُخبر بذلك، فحرمها على نفسه..

وصدق فيها قول الله عز وجل: ﴿ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ [المائدة ٩٠-٩١].

* **تأثيرها:**

الإدمان على الخمر تشتيت للحياة العائلية يقول الدكتور محمد البار – فى كتابه الخمر بين الطب والفقه – : «وتصبح حياته الزوجية (لمدمن الخمر) جحيمًا لا يطاق، فهو مهمل لبيته وزوجته وأطفاله.. فهو يهين زوجته وأطفاله ويضربهم، وتتولد لديه الاعتقادات الزائفة، وتزداد حالة الشك والريبة فى كل من حوله حتى تصل إلى حالة البارنويا وخاصة فيما يتعلق بزوجته وأولاده وأصدقائه، ويتهم زوجته وأقاربه بارتكاب الفاحشة، ويفقد قدرته الجنسية تمامًا رغم ما يبذله من تهتك فى هذا السبيل، فهو يسهر فى النوادى الليلة، ويتظاهر بالقدرة الجنسية رغم فقده لها، ويدخل فى الحوار من الشذوذ الجنسى، والسلوكى».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* **الأدلة:**

ورد فى تحريم الخمر العديد من الأدلة منها:

- روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أتانى جبريل فقال: «يا محمد إن الله عز وجل لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقيها، ومستقيها.. فهؤلاء عشرة استحقوا اللعن (وهو الطرد من رحمة الله) من الله تعالى**».

- روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: يا أيها الناس: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يقعدَنّ على مائدة يدارُ عليها الخمر**».

- روى الترمذى عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد فى الرابعة فاقتلوه**».

- روى النسائى عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يشرب الخمر رجل من أمتى فيقبل الله منه صلاة أربعين يوماً**» سنن النسائى.

- وروى الإمام مسلم عن أبى هريرة قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزنى الزانى وهو يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

– وروى الإمام مسلم – أيضًا – عن وائل الحضرمى أن طارق بن سويد الجعفى، سأل النبى ﷺ عن الخمر، فنهاه. أوكره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «**إنه ليس بدواء، ولكنه داء**» صحيح مسلم.

– وروى أبو داود عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أسكر كثيره، فقليله حرام**».

هكذا سدت الشريعة بتحريمها للخمر بابًا يؤدى إلى ارتكاب المعاصى والآثام. ومنها: جريمة الزنا.

٥- الغناء

قرر العلماء والفضلاء أن الصلة وثيقة بين الغناء والزنى، قال يزيد بن الوليد: «يا بنى أمية إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد فى الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لابد فاعلين، فجنبوه النساء».

ويقول ابن الجوزى: «اعلم أن الغناء يجمع شيئين: أحدهما: أنه يلهى القلب عن التفكير فى عظمة الله سبحانه، والقيام بخدمته. والثانى: أنه يميله إلى اللذات العاجلة، التى تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح، وليس تمام لذته إلا فى المتجددات من الحِل، فذلك يحدث الزنا، فبين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الزنا والغناء تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح، والزنا أكبر لذات النفس، ولهذا جاء الحديث: «**الغناء رقية الزنا**» التلبيس.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الفواحش، فالغناء رقية الزنا، وهو من أعظم أسباب الوقوع فى الفواحش، ويكون الرجل والصبى والمرأة فى غاية العفة والحرية. حين يحضره فتنحل نفسه، وتسهل عليه الفاحشة، ويميل لها فاعلاً، أو مفعولاً به، أو كلاهما، كما يحصل بين شاربى الخمر وأكثر» الفتاوى.

ويقول ابن القيم: «ولا ريب أن كل غيور يجنب أهله سماع الغناء، كما يجنبهن أسباب الريب، ومن طرق أهله إلى سماع رقية الزنا، فهو أعلم بالإثم الذى يستحقه.. ثم يقول: فلعمر الله، كم من حُرّة صارت بالغناء من البغايا؟ وكم من حر أصبح عبداً للصبيان أو الصبايا؟ وكم من غيور تبدل به رسماً قبيحاً بين البرايا؟ وكم من ذى غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض، بعد المطارف والحشايا؟ وكم من معافى تعرض له فأمسى، وقد حلت به أنواع البلايا؟ وكم أهدى للمشغوف من أشجان وأحزان فلم يجد بُداً من قبول تلك الهدايا؟؟!» الإغاثة.

من أجل هذا حرّمه الإسلام فقال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [لقمان: ٦].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال عبد الله بن مسعود لما سئل عنها: «الغناء والله الذى لا إله غيره، يرددها ثلاث مرات» ابن كثير.

وكذلك فسرها ابن عمر، وعكرمة وميمون بن مهران، ومكحول ومجاهد، والحسن، والقاسم بن محمد وابن القاسم ومالك. «بأنه الغناء. والمعازف، والغناء بطال والباطل فى النار».

روى البخارى عن عبد الرحمن بن غنم، قال: حدثنى أبو عامر، أو أبو مالك الأشعرى أنه سمع النبى ﷺ يقول: **ليكونن من أمتى قوم يستحلون الحر [الزنى] والحرير، والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم [قمة الجبل] يروح عليهم بسارحة لهم [الماشية] يأتيهم لحاجة: فيقولوا: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم [يهلكهم ليلاً] الله تعالى ويضع العلم [يدكدك الجبل] ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»**(١).

يقول ابن القيم: وجه الدلالة منه – أى الحديث – أن المعازف هى آلات اللهو كلها، لا خلاف بين أهل اللغة فى ذلك، ولو كانت حلالاً لما ذمهم على استحلالها، ولما قرن استحلالها باستحلال الخمر والحر (الزنى)».

وروى ابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال: «**يشربنْ ناس من أمتى**

---

(١) صحيح البخارى مع فتح البارى: باب «فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه» جـ ١٠، ص ٥١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الخمر، يسمونها بغير اسمها، يُعزف على رءوسهم المعازف [اللعب بالمعازف] والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم قردة وخنازير».

يقول ابن القيم في وجه الدلالة من الحديث: «وقد توعد مستحل المعازف فيه بأن يخسف الله بهم الأرض، ويمسخهم قردة وخنازير، وإن كان الوعيد على جميع الأفعال فلكل واحد قسط من الذم والوعيد» الإغاثة.

* ومن أقوال الأئمة في تحريم الغناء والمعازف:

لما سئل عنه مالك قال: «إنما يفعله الفساق عندنا».

قال الطرطوشي: «وأما مذهب أبو حنيفة فإنه يكره الغناء، ويجعل سماع الغناء من الذنوب».

وقال الشافعي: «من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته».

وقال القفال: «لا تقبل شهادة المغني والرقاص».

وقال أحمد بن حنبل: «الغناء ينبت النفاق في القلب لا يعجبني» ثم ذكر قول مالك: «إنما يفعله الفساق عندنا».

بتحريم الغناء أوصد الإسلام بابًا من أبواب الفاحشة حتى يبقى للمجتمع الإسلامي أدبه وكماله، وطهره وعفافه.

٦- الصيام

إذا رأى الإنسان المسلم نفسه غير قادر على أعباء ومؤونة الزواج، فعليه بالصوم؛ لأن له تأثيراً قويًّا فى تخفيف جموح الشهوة لحديث عبد الله بن مسعود الذى رواه البخارى – قال: كنا مع النبى ﷺ شبابًا لا نجد شيئًا، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**».

يقول ابن حجر: فى الحديث إرشاد العاجز عن مؤن النكاح إلى الصوم، لأن شهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل، تقوى بقوته، وتضعف بضعفه» الفتح.

ويقول أيضًا: «استدل بالحديث الخطابى على جواز المعالجة لقطع شهوة النكاح بالأدوية، وحكاه البغوى فى شرح السنة». ثم يقول: «وينبغى أن يحمل على دواء يسكن الشهوة دون ما يقطعها إصالة لأنه قد يقدر عليه بعد فيندم لفوات ذلك فى حقه.. وقد صرح الشافعية بأنه لا يكسرها بالكافور ونحوه. والحجة فيه أنهم اتفقوا على منع الجب والخصاء فيلحق بذلك ما فى معناه من التداوى بالقطع ونحوه».

٧- عدم الجهر بالسوء

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

إن ذكر الفاحشة يتضمن الدعوة إلى ارتكابها، لأن المنكر إذا ذكر اشتاقت النفوس الضعيفة إلى اتيانه، والمراد بشيوعها شيوع خبرها. فابن تيمية يقول: «وهذا ذم لمن يحب ذلك، وذلك يكون بالقلب فقط، ويكون مع ذلك اللسان والجوارح، وهو ذم لمن يتكلم بالفاحشة أو يخبرها محبة لوقوعها فى المؤمنين، إما حسداً، أو بغضاً، وإما محبة للفاحشة وإرادة لها، فكل من أحب فعلها ذكرها. وكره العلماء الغزل من الشعر الذى يُرغب فيها.. فإن الفعل يُطلب بالأمر تارة وبالإخبار تارة.

فكل أحد يحب سماع سورة يوسف لما فيها من ذكر العشق، وما يتعلق به، لمحبته لذلك ورغبته فى الفاحشة، ويبغض سماع سورة النور إعراضاً عن دفع هذه المحبة وإزالتها. فهو مذموم.

قيل: من أعان على الفاحشة وإشاعتها، فهو مثل القواد الذى يقود النساء والصبيان إلى الفاحشة» تفسير سورة النور ص ٦٨.

وقد شدد الله سبحانه على عقوبة القذف، وإشاعة الفاحشة

والسوء، لأن اطراد سماع التهم يوحى إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب الفعلة أن جو الجماعة كله ملوث، وأن الفعلة فيها شائعة، فيقدم عليها من كان يتحرج منها، وتهون فى حسه بشاعتها بكثرة ترددها ، وشعوره بأن كثيرين غيره يأتونها.

والشريعة بتحريمها وتشديدها عقوبة القذف تسد أبواب الإثارة للفاحشة.

٨- الحدود

روى ابن ماجة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**حدٌّ يعمل فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحًا**» وذلك لأن فى إقامتها زجرًا للخلق عن المعاصى والذنوب وسببًا لفتح أبواب السماء، وفى القعود عنها والتهاون بها انهماك لهم فى المعاصى وذلك سبب لأخذهم بالجدب وإهلاك الخلق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن العقوبات الشرعية كلها أدوية نافعة يصلح الله بها مرض القلب، وهى من رحمة الله بعباده، ورأفته بهم الداخلة فى قوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ فمن ترك هذه الرحمة النافعة لرأفة يجدها بالمريض، فهو الذى أعان على عذابه وهلاكه، وإن كان لا يريد إلا الخير، إذْ هو فى ذلك جاهل أحمق، كما يفعله بعض النساء والرجال بمرضاهم وبمن يربونه من أولادهم وغلمانهم، وغيرهم فى

ترك تأديبهم وعقوبتهم، على ما يأتون من شر، ويتركون من خير، رأفة بهم، فيكون ذلك سبب فسادهم، وعداوتهم وهلاكهم»(١).

ويقول رسول الله ﷺ: «**أقيموا حدود الله فى القريب والبعيد، ولا تأخذكم فى الله لومة لائم**» ابن ماجة.

ويقول ﷺ: «**من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى أمره**» رواه أحمد.

وقال علىّ بن أبى طالب: «لابد للناس من إمارةٍ برة كانت أو فاجرة. فقيل: يا أمير المؤمنين هذه البرّة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ فقال: تُقام بها الحدود، وتؤمَن بها السبل، ويجاهد بها العدو، ويقسّم بها الفىء»(٢).

فإقامة الحدود تعمل على منع المجرمين من ارتكاب المعاصى، وفى إعلانها زجر لكل من تسول له نفسه بالآثام أن يكف ويرتدع. فالمعصية إذا كانت ظاهرة كانت عقوبتها ظاهرة، كما جاء فى الأثر: من أذنب سراً، فليتب سراً، ومن أذنب علانية، فليتب علانية، وفى الحديث: «**إن الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا أُعلنت فلم تُنكَر ضرت العامة**».

---

(١) تفسير سورة النور.

(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإذا أعلنت العقوبة بحسب العدل الممكن لهذا، لم يكن للمعلن بالبدع والفجور غيبة، كما روى ذلك عن الحسن البصرى وغيره؛ لأنه لما أعلن ذلك، استحق عقوبة المسلمين له، وأدنى ذلك أن يُذم عليه لينزجر، ويكف الناس عنه، وعن مخالطته، ولو يذُم ويُذكر بما فيه من الفجور والمعصية، أو البدعة، لاغتر به الناس، وربما حمل بعضهم على أن يرتكب ما هو عليه، ويزداد أيضًا هو جرأة وفجوراً، فإذا ذكر بما فيه انكفّ غيره عن ذلك وعن صحبته ومخالطته.

وتظهر أهمية إقامة الحد علانية مما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: «أن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه - لما شرب الخمر بمصر وذهب به أخوه إلى أمير مصر عمرو بن العاص ليجلده الحد، جلده الحد سراً، وكان الناس يُجلدون علانية، فبعث عمر بن الخطاب ينكر عليه ذلك، ولم يعتد عمر بذلك الجلد حتى أرسل إلى ابنه فأقدمه المدينة، فجلده الحدّ علانية، ولم ير الوجوب سقط بالحد الأول»(١).

ويقول أبو السعود فى بيان حكمة علانية الحدود: «وفى حضور الجماعة من المؤمنين وقت إقامة الحد، زيادة فى التنكيل،

(١) تفسير سورة النور لابن تيمية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهكذا عوقب المجرم بعقوبة بدنية ومعنوية ، ويتعظ بعض الناس بالعقوبة المعنوية أكثر من العقوبة الجسدية، لأن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب »[1]. وهكذا ترتدع النفوس الشريرة بإعلان إقامة الحدود.

(١) تفسير أبي السعود.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثانى

المرأة المسلمة

اهتم الإسلام بتربية المرأة، وطالبها بعديد من الآداب فى بيتها وخارجه. لأن الأصل أن تقر فى البيت لقوله تعالى ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال ابن كثير: «الزمنّ بيوتكن، فلا تخرجن لغير حاجة»(١)

وقال الجصاص: «وفيه الدلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيوت منهيات عن الخروج»(٢).

وقد صرح المفسرون بأن الأمر بالقرار فى البيوت لجميع النساء.

يقول القرطبى: «ومعنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبى ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى، هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن، والانكفاف عن الخروج منها إلا ضرورة»(٣).

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) أحكام القرآن.

(٣) تفسير القرطبى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهذه الأمور كلها مما أدب الله تعالى به نساء النبى ﷺ صيانة لهن، وسائر نساء المؤمنين مرادات بها .

وقرارها فى البيت لتربية الجيل الذى بإصلاحه يُرجى صلاح الأمم، وبإفساده يتحقق فساد الأمم. لايستطيع أحد تأدية هذه الرسالة الجليلة إلا الأم، ولا يستطيعه لا الرجال الأفاضل، ولا المؤسسات الحكومية، ولا المرأة التى تشتغل خارج البيت..

ونحن نرى المرأة الغربية حينما خرجت للعمل تركت الإنجاب، وأهملت أمر الأبناء إهمالا تامًا. وترتب على ذلك فساد الحياة الزوجية، وتخربت المنازل، وحاكت الرجل فى كل شىء فى التدخين، والفجور، والإلحاد، حتى فى سراويله، وتصفيف شعره. وأدى التقارب بين الجنسين إلى استرخاء الرجل، واسترخاء المرأة، وصاغت البيئة الجنسين فى جنس واحد، وقاسموا بعضهم فى شقق الإيجار، حتى أصبحت العذراء بينهم غريبة مستهجنة، وارتفعت نسبة الفتيات اللواتى يمارسن الصلات الجنسية قبل الزواج حتى تماثلت نسبتها فى الشباب، وتبعًا لذلك ارتفعت نسبة الأمراض الجنسية... فهذه الإباحية الجنسية وتشتيت الحياة العائلية تبرز حكمة الله سبحانه فى قوله: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**﴾ [الأحزاب: ٣١].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- حرمة البيت

الإسلام الذى صان النساء من الاختلاط وأمرهن بالقرار فيه، طالبنا بإعطاء البيت حرمته من وجوب الاستئذان فى الدخول إليه كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النور:٢٧] فيجب على من يريد دخول البيت أن يستأذن سواء يكون الباب مفتوحًا أو مغلقًا؛ لأن الشرع قد أغلقه بالتحريم للدخول حتى يفتحه الإذن من ربه.

- والاستئذان واجب على كل بالغ إلا الزوج فليس عليه أن يستأذن للدخول وليس فى البيت سوى زوجته. يروى الإمام مالك فى الموطأ أن رسول الله ﷺ سأله رجل فقال: يا رسول الله، أستأذن على أمّى؟ فقال: «**نعم**». قال الرجل: إنى معها فى البيت. فقال رسول الله ﷺ: «**استأذن عليها**» فقال الرجل: إنى خادمها، فقال رسول الله ﷺ: «**أتحب أن تراها عريانة؟**» قال: لا. قال: «**فاستأذن عليها**».

- والاستئذان يشمل النساء. روى ابن أبى حاتم عن أم إياس قالت: كنت فى أربع نسوة نستأذن على عائشة رضى الله عنها فقالت: ندخل؟ فقالت: لا. فقالت واحدة: السلام عليكم أندخل؟ قالت: ادخلوا، ثم قالت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا**

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ تفسير ابن كثير.

– والأطفال لا يدخلون بدون إذن في الأوقات الثلاثة حيث يقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ [النور: ٥٨].

– ولا ينبغي أن يلح في الحصول على الإذن – فقد روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الاستئذان ثلاث؛ فإن أذن لك وإلا فارجع**» وجعل ثلاثًا: لأنه بالأولى يتنصتون. وبالثانية: يستعدون. وبالثالثة: يأذنون أو يردون...

ويقول الإمام مالك: الاستئذان ثلاث لا أحب أن يزيد أحد عليها... إلا علم لم يسمع فلا أرى بأسًا أن يزيد إذا استيقن أنه لم يسمع»، ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٧].

– ولا يقف المستأذن أمام الباب خشية أن يمتد بصره إلى من بداخل البيت، روى أبو داود عن هزيل قال: جاء سعد فوقف

على باب النبى ﷺ يستأذن، فقام مستقبل الباب. فقال له النبى ﷺ: «**هكذا - عنك - أو هكذا، فإنما الاستئذان من النظر**» والوقوف يكون من الركن الإيمن، أو الأيسر. ويقول السلام عليكم، السلام عليكم.

والوقوف يكون من الركن الأيمن أو الأيسر، ويقول: السلام عليكم، السلام عليكم.

- ولا يجوز الدخول على امرأة ليس معها ذو محرم لها حتى ولو أذنت بالدخول. روى البخارى عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: **الحمو** [أقارب الزوج] **الموت**» وعلة تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية فى قول النبى ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلوّن بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان**» نيل الأوطار. وقال عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران: «لا تخلون بأمرأة، وإن قلت أعلمها القرآن».

- ونهى رسول الله ﷺ عن دخول المخنثين البيوت. روى البخارى عن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان عندها وفى البيت مخنث فقال المخنث لأخى أم سلمة عبد الله بن أبى أمية، إن فتح الله لكم الطائف غداً، أدلك على ابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان (أى أربع عكن وثمان عكن) فقال النبى

ﷺ : «**لا يدخلن هذا عليكم**». وفى رواية لمسلم: «فسمعه رسول الله ﷺ، فقال: «**لا يدخل هؤلاء عليكم**» فلا يسمح للمخنثين بدخول البيوت. والسبب فى هذا كما يقول المهلب: «وإنما حجبه عن الدخول على النساء لما سمعه يصف المرأة بهذه الصفة، التى تهيج قلوب الرجال، فمنعه لئلا يصف الأزواج للناس، فيسقط معنى الحجاب» الفتح.

– ويحرم النظر إلى بيت أحد، روى مسلم عن سهل بن سعد الساعدى أن رجلاً اطلع من جحر فى باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مدرى [حديدة يسوى بها شعر الرأس] يرجل به رأسه (يمشطه) فلما رآه الرسول ﷺ قال: «**لو أعلم أنك تنظر طعنت به فى عينك، إنما جُعل الإذن من أجل البصر**» فالاستئذان مشروع ومأمور به، وإنما جعل لئلا يقع البصر على الحرام، فلا يحل لأحد أن ينظر فى جحر ولا غيره مما هو متعرض فيه لوقوع بصره على امرأة أجنبية. وفى هذا الحديث جواز رمى المتطلع بشىء خفيف، فلو رماه بتخفيف ففقأها فلا ضمان إذا كان قد نظر فى بيت ليس فيه امرأة محرم كما روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**من اطلع فى بيت بغير إذنهم فقد حلّ لهم أن يفقئوا عينه**».

– ولا يجوز اللعب بالحمام. قال ابن القيم: «وعليه (أى ولى الأمر) أن يمنع اللاعبين بالحمام على رؤوس الناس، فإنهم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يتوسلون بذلك إلى الإشراف عليهم، والتطلع على عوراتهم» الطرق الحكمية.

– ولصيانة المرأة عليها أن تجيب المستأذن من وراء حجاب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وينبغي أن تترك الإطالة في الحديث.

– وعليها أن تتكلم بوقار واحتشام ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢] فلا يلنَّ القول للرجال على وجه يوجب الطمع فيهن، ويستدل به على رغبتهن فيهم.

– وينبغي ألا يبدين زينتهن لغير المحارم ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

– ولا يجوز نعت امرأة أخرى لزوجها كأنه ينظر إليها، وهذا يسبب إثارة الشهوات. لهذا منع الإسلام المرأة من وصف امرأة أخرى لزوجها، قال رسول الله ﷺ: «**لا تباشر المرأة المرأة، فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها**» البخاري.

٢- خروج المرأة:

– عند خروج المرأة من منزلها يقول ﷺ: «**إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**» الترمذي. لذلك شرع لها الإسلام

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القيود والآداب فى الخروج حتى لا يتمكن من استغلال خروجها لنشر الفاحشة .

– ينبغى أن يكون خروج النساء للحوائج. روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرجت سودة بنت زمعة ليلاً، فرآها عمر، فعرفها، فقال: إنك والله ياسودة ما تخفين علينا..

فرجعت إلى النبى ﷺ، فذكرت له ذلك، وهو فى حجرتى يتعشى، وإن فى يده لعرقًا، فأنزل عليه، فرفع عنه، وهو يقول: «**قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن**» فالنساء يخرجن لكل ما أبيح لهن الخروج فيه من زيارة الآباء والأمهات، وذوى المحارم وغير ذلك مما تمس به الحاجة. وكانت النساء فى عصر النبى ﷺ يحضرن المسجد والمصلى ويذهبن إلى حفلات العرس، ويشاركن فى الغزوات وقت الحاجة.

روى البخارى عن عائشة قالت إن كان رسول الله ﷺ ليصلى الصبح فينصرف النساء متلفقات بمروطهن ما يعرفن من الغلس.. وروى البخارى عن أم عطية قالت: «أمرنا أن نخرج العواتق وذوات الخدور، ويعتزلن الحيض المصلى»، وروى البخارى من حديث أنس قال: أبصر النبى ﷺ نساء وصبيانا مقبلين من عرس فقام ممتنا (قيامًا قويًا فرحًا بهم) فقال: «**أنتم من أحب الناس إلىّ**».

وروى مسلم عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى». فللمرأة أن تخرج إذا دعت الحاجة. أما خروجها لإظهار حسنها وجمالها وأزيائها الجديدة فهذا ما يحرمه الإسلام.

– وإذا خرجت فعليها أن تستأذن من الزوج قبل الخروج من البيت، ولا تخرج إلا إذا أذن لها. روى البيهقى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ولا تخرج (الزوجة) من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها الملائكة، ملائكة الغضب والرحمة حتى تتوب أو تراجع». وروى البخارى عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «**إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها**» وعلى الزوج ألا يمنعها من عيادة والديها، وزيارتهما، والصلاة فى المسجد...

– ولا تخرج إلا متحجبة؛ لأن الله أمر نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن لحاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب. فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وروى الإمام مالك من حديث أم سلمة زوج النبى ﷺ أنها قالت: حين ذكر الإزار فالمرأة يا رسول الله؟ قال: **ترخيه شبراً**..

قالت أم سلمة: إذا ينكشف عنها، قال: **فذراعًا، لا تزيد عليه**»
ووجوب ستر القدمين كان أمراً شائعًا بين المسلمين.

– ويجب على ولى الأمر منع النساء من الخروج متزينات، متجملات، ومنعهن من الثياب التى يكن بها كاسيات عاريات، ومنعهن من حديث الرجال، فى الطرقات، ومنع الرجال من ذلك. وإن رأى ولى الأمر أن يفسد على المرأة – إذا تجملت وتزينت وخرجت – ثيابها بحبر ونحوه، فقد رخص فى ذلك بعض الفقهاء، وأصاب، وهذا من أدنى عقوبتهن المالية، وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها، ولا سيما إذا خرجت متجملة، بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهن على الإثم والمعصية، والله سائل ولى الأمر عن ذلك» ابن القيم – الطرق الحكمية.

– وعلى المرأة أن تغطى وجهها وقت الخروج من البيت. وذلك لأن الله تعالى أمر نساء المؤمنين بإدناء الجلابيب عليهن. وإدناؤه: أن تغطى المرأة وجهها ورأسها عن الأجنبيين وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع أهل الريب فيهن.

قالت عائشة رضى الله عنها: «كان الركبان يمرون بنا، ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات، فإذا حاذوا بنا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزنا كشفناه» مسند أحمد.

ويقول ابن القيم: «فالحرة لها أن تصلى مكشوفة الوجه والكفين، وليس لها أن تخرج فى الأسواق ومجامع الناس كذلك» أعلام الموقعين.

وينبغى ألا يكون قماش الجلباب أو الخمار شفافًا، بحيث يصف أو يشف؛ لأنه حينئذ يفوت قصد الجلباب. روى الإمام مالك عن أم علقمة أنها قالت: «دخلت حفصة بنت عبد الرحمن على عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ وعلى حفصة خمار، رقيق، فشقته عائشة وكستها خماراً كثيفا» موطأ مالك.

– نهى رسول الله ﷺ: أن تخرج المرأة مستعطرة فقال ﷺ: «**إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا فهى كذا وكذا**» قال قولا شديداً. رواه أبو داود عن أبى موسى وقد سماها النبى ﷺ زانية مجازاً، لأنها رغّبت الرجال فى نفسها.. ومنع الرسول ﷺ المرأة إذا استعطرت عن الذهاب إلى المسجد فقال ﷺ: «**أيما امرأة أصابت بخوراً، فلا تشهد معنا العشاء الآخرة**» مسلم..

وابن القيم يقول: «ويمنع المرأة إذا أصابت بخوراً أن تشهد عشاء الآخرة فى المسجد» الطرق الحكمية. فإذا كانت تمنع من الذهاب إلى المساجد وهى مستعطرة، فهل يسمح لها بأن تذهب إلى الأسواق، تحرك الشهوات، وتفتن الرجال؟

– وعلى المرأة ألا تظهر زينتها بالصوت ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١].

يقول صاحب الظلال: «وإنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها، فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى فى إثارة الشبهات من العيان، وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها أو حليها، أكثر مما تثيرها رؤية جسد المرأة ذاته، وسماع وسوسة الحلى، أو شمام شذى العطر عن بعيد قد يثير حواس رجال كثيرين، ويهيج أعصابهم، ويفتنهم فتنة جارفة، لا يملكون لها ردا، والقرآن يأخذ الطريق على هذا كله، لأن منزله هو الذى خلق، وهو الذى يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير».

ويقول الجصاص: «وفيه دلالة على أن المرأة منهية عن رفع صوتها بالكلام. بحيث يسمع ذلك الأجانب. إذا كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها»(١).

وليس على المرأة رفع صوت فى التلبية، بل تسمع نفسها، وفى الصلاة عليها التصفيق والتسبيح للرجال، قال ابن عبد البر: «أجمع العلماء على أن السنة فى المرأة ألا ترفع صوتها، وإنما عليها أن تسمع نفسها وكُره لها رفع الصوت مخافة الفتنة عليها، ولهذا لا يسن لها آذان، ولا إقامة، والمسنون لها فى التنبيه فى الصلاة التصفيق دون التسبيح»(٢).

---

(١) أحكام القرآن: للجصاص.

(٢) المغنى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣ - عدم مخالطة الرجال:

- وعلى المرأة أن لا تختلط بالرجال درءاً لانتشار الفساد والفحشاء. **يقول ابن القيم**: «ولا ريب أن تمكين الفساد من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة. واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنى.. وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة، ولما اختلط البغايا بمعسكر موسى، وفشت فيهم الفاحشة، أرسل الله عليهم الطاعون، فمات فى يوم واحد سبعون ألفا»(١).

وقد روى أبو داود عن أبى أسيد الأنصارى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول للنساء وهو خارج المسجد وقد اختلط الرجال فى النساء فى الطريق فقال: «استأخرن، فإنه ليس لكنَّ أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق، فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتى وأن ثوبها ليلصق بالجدار من لصوقها به» أبو داود.

كما خصص النبى ﷺ للنساء بابا لدخول المسجد. وقال البخارى: «باب اعتزال النساء فى المساجد عن الرجال» ثم ذكر حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو تركنا هذا**

---

(١) الطرق الحكمية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الباب للنساء» قال نافع تلميذ عبد الله بن عمر: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات.

– وعلى المرأة ألا تسافر إلا ومعها محرم. قال ﷺ: «**لا تسافر المرأة ثلاثًا إلا ومعها ذو محرم**» رواه مسلم عن ابن عمر.. وروى البخارى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم**» البخارى.

وروى مالك عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذى محرم منها**» الموطأ.

وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال: «أربع سمعتها من رسول الله ﷺ أو قال يحدثهن عن النبى ﷺ فأعجبنى وآنقنى: ألا تسافر امرأة مسيرة يومين ليس معها زوجها أو ذو محرم، ولا صوم يومى الفطر والأضحى، ولا صلاة بعد صلاتين: بعد العصر حتى تغرب الشمس، وبعد الصبح حتى تطلع الشمس، ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام. ومسجدى، ومسجد الأقصى» البخارى.

– وأيضا فى الحج فليس للمرأة أن تخرج إلا ومعها ذو محرم لقول النبى ﷺ: «**لاتحجن امرأة إلا ومعها ذو محرم**». ولما رواه البخارى عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «**لايخلون رجل بامرأة**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلا مع ذى محرم، فقام رجل، فقال: يا رسول الله، إن امرأتى خرجت حاجة، واكتتبتُ فى غزوة كذا وكذا. **قال**: «**ارجع فحج مع امرأتك**».

والأئمة رضوان الله عليهم قالوا: ليس المحرم شرطا فى حجها بحال:

قال ابن سيرين: «تخرج مع رجل من المسلمين لا بأس به».

قال مالك: «تخرج مع جماعة النساء».

وقال الشافعى: «تخرج مع حرة مسلمة ثقة».

وقال الأوزاعى: «تخرج مع قوم عدول».

وإباحة الأئمة مبنية على مصاحبة الأمناء، فكيف تسافر المرأة المسلمة وحدها للدراسة، والتنزه، والسياحة.. والشرط لسفرها دون محرم مع مصاحبة الأمناء فى الحج فقط؟

وأما فى غيره فيقول النووى: قال القاضى عياض: «واتفق العلماء على أنه ليس لها أن تخرج فى غير الحج والعمرة إلا مع ذى محرم إلا الهجرة من دار الحرب، فاتفقوا أن عليها أن تهاجر منها إلى دار الإسلام، وإن لم يكن معها محرم».

وقال ابن حجر: «أو امرأة انقطعت عن الرفقة فوجدها رجل مأمون فإنه يجوز لها أن يصحبها حتى يبلغها الرفقة».

---

(١) فتح البارى جـ٤ ص ٧٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثالث

وصية للرجال

حرصت الشريعة الإسلامية على عدم ظهور زينة النساء أمام الأجانب تفاديا لما يترتب على ظهورها من إثارة الشهوات، فشرعت للنساء التستر والتحجب.

وأمرت الرجال بغض البصر، لأن تهذيب النفوس لا يتحقق إلا بغضّه، يقول الله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور: ٣٠].

يقول القرطبي: «هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثرة السقوط من جهته، ووجب التحذير منه»(١).

كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير الآية: «فالنظر داعية إلى القلب، قال بعض السلف: والنظر سهم سُمّ إلى القلب،

(١) القرطبي جـ ١٢ ص٢٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلهذا أمر الله تعالى بحفظ الفروج، كما أمر بغض الأبصار التى هى بواعث إلى ذلك »[١].

ويقول القاسمى: « وقدم سبحانه وتعالى غض البصر من أجَلِّ الأدوية لعلاج القلب، وفيه حسم لمادتها »[٢].

ويقول الحافظ ابن كثير: « ذلك أزكى لهم: أى أطهر لقلوبهم وأتقى لدينهم. كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نوراً فى بصيرته، ويروى فى قلبه ». وروى الإمام أحمد عن أبى أمامة عن النبى (ﷺ) أنه قال: « ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها »[٣]..

وقد أخبر النبى (ﷺ) عن خطر النظر إلى المرأة الأجنبية، وحوّل رسول الله ﷺ وجه الفضل بن عباس حين جعل ينظر إلى امرأة، والحديث كما رواه مسلم عن عبدالله بن عباس (رضى الله عنه) أنه قال: « كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل ينظر إليها، وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ».

---

(١) تفسير النور – ابن تيمية – ص١٢٣.

(٢) تفسير القاسمى جـ ١٢ ص٤٥٠.

(٣) ابن كثير جـ ٣ ص٢٨٢ وقال الحافظ ابن كثير: وروى هذا مرفوعا عن ابن عمر، وخذيفة، وعائشة ولكن فى أسانيدها ضعف إلا أنها فى الترغيب ومثله يُتسامح فيها ».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يقول ابن القيم تعليقا على هذه القصة: «وهذا منع وإنكار بالفعل» روضة المحبين.

وروى مسلم عن جرير بن عبدالله قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فأمرنى أن أصرف بصرى.

كما أخبر النبى (ﷺ) عن خطره فروى الإمام مسلم – أيضا – عن أبى هريرة (رضى) عن النبى (ﷺ) قال: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه**».

يقول الإمام ابن القيم تعليقا على هذا الحديث: «فبدأ (ﷺ) بزنى العين، لأنه أصل زنى اليد والرجل. والقلب، والفرج» روضة المحبين.

وقال (ﷺ): «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه حلاوة يجدها إلى يوم القيامة**» رواه أحمد نقلا عن روضة المحبين.

فالشريعة أمرت الرجال بغض البصر حتى لا تثار الشهوات، ولكى يظل الجو الإسلامى الطاهر سائداً فى المجتمع.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تحريم لمس الأجنبية

حرّمت الشريعة على الرجال مس النساء الأجنبيات لما فيه من إثارة الشهوات.

وروى الطبرانى عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ «**لأن يطعن فى رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**»، وفى كتاب الهداية: «ولا يحل له أن يمس وجهها، ولا كفيها، وإن كان يأمن الشهوة»(١) وذكر فى الحديث: «**من مس كف امرأة ليس منها بسبيل وضع على كفه جمرة يوم القيامة**».

وكان رسول الله ﷺ يحرص على ألا تمس يده يد امرأة فقد روى مسلم أن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يُمتحن يقول الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ**﴾ [الممتحنة: ١٢].

قالت عائشة: فمن أقر بهذا من المؤمنات فقد أقر بالبيعة.

وكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن، قال لهن رسول الله ﷺ **انطلقن فقد بايعتكن**، ولا والله ما مست يد رسول

---

(١) الهداية جـ ٤ ص٨٣- ٨٤ يقول الحافظ الزليعى فى الحديث الذى ذكره صاحب الهداية: غريب». نصب الراية جـ٤ ص٢٤٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام، قالت عائشة: «والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط، إلا بما أمره الله تعالى، وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: «**قد بايعتكن كلاما**» البخارى ومسلم.

يقول النووى: فيه أن بيعة النساء بالكلام، من غير أخذ كف، وأنه لا يمس بشرة الأجنبية من غير ضرورة».

هذا هو الحق أما ما يفعله بعض الرجال والشباب فى الاختلاط بالنساء فى الزحام والأماكن العامة، فهذا من شأنه أن يثير الشهوات، ويفسد الجو الإسلامى الطاهر.. فالنكاح هو الحل الوحيد فى مواجهة السفاح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبعد

شرع الله تعالى الزواج لبقاء النوع الإنسانى، وعزز من روابطه وأركانه، وأحاط الأسرة بسياج مقدس من التكريم والتقدير، وأقام الحياة بين الزوجين على أساس التفاهم والتعاون، والمحبة والمودة، والطهر والعفاف. والإسلام رسالة إصلاحية فاضلة، وآداب اجتماعية سامية، ومثل إنسانية رفيعة، حوى ما فى التشاريع من نظم ومبادئ، وخير ما فى الأديان من سمو وأخلاق، فتعاليمه الرشيدة تدعو إلى الكمال، ومبادئه الإنسانية تهدف إلى الإصلاح. إنه رسالة الفضائل والآداب، بل إنه رسالة الحياة وكفاه فخرا أنه دين الأدب والستر، ودين الحشمة والوقار، يدعو إلى استعفاف المؤمنة الطاهرة، حتى تحفظ نفسها، وتصون كرامتها، والاستعفاف طلب العفة وإيثارها على حب الظهور، وذلك لما بين التبرج والفتنة من صلة، وبين التحجب والعفة من صلة، وكفى بذلك برهانا على سمو الشريعة، وطهر مقصدها، ونبل غايتها.

وأود أن ألفت نظر الآباء ألا يردوا خاطبا لفقره، فإذا خطب ابنتهم شاب صالح، حسن السيرة والأخلاق، فعليهم ألا يرفضوه لمجرد فقره؛ فإن المال غادٍ ورائح، وفى فضل الله ما يغنى الجميع. وعلى الشاب نفسه ألا يرجئ أمر زواجه انتظارا للمزيد من الغنى

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واليسر، بل عليه أن يقدم على الزواج متوكلا على الله ولو كان كسبه قليلا، فإن الزواج كثيرا ما يكون السبب فى إصلاح حال الإنسان بسبب ما يبذله من جهد فى سبيل الكسب بعد الزواج. والله سبحانه قد وعد بالعون من أراد أن يعف نفسه عن الحرام ففى الحديث الصحيح: «**ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازى فى سبيل الله**» رواه الترمذى بإسناد حسن، والنسائى وأحمد، وابن ماجة والحاكم وصححه. نسأل الله أن يحفظ مجتمعات المسلمين من دعوات الهدم والتخريب التى يتبناها الحاقدون على أمة الإسلام والمسلمين من الشرق والغرب، ومن الذين يريدونها عوجاً، ويسخّرون أموالهم وأقلامهم وإعلامهم لشيوع الفاحشة فى الذين آمنوا.

نسأله سبحانه أن يقينا شرورهم وندرأ به فى نحورهم، وأن ينجى مجتمعات المسلمين من لؤمهم ومكرهم وخستهم ودناءة طبعهم، إن ربى على ما يشاء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير.

الدكتور

السيد عبدالحليم محمد حسين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

الموضوع الصفحة

الباب الأول

التوجيه السديد للغريزة الجنسية

الفصل الأول: الحض على الزواج ١١
حكم الزواج ١٢
النكاح سنة المرسلين ١٣
المرأة الصالحة متاع ١٤
استكمال الدين ١٥
أجرة المعاشرة ١٦
النهى عن ترك النكاح ١٦
الفصل الثانى: تهيئة مناخ النكاح ٢٠
الفقر ليس سببا فى رد الخاطب ٢٢
دعم مريد التزويج ٢٤
المغالاة فى المهور ٢٦
الإسراف ٢٨
الولى ٣٠
سوء تصرف الأولياء ٣٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثالث: المودة والرحمة ٣٥
الاستئمار قبل التزويج ٣٧
وأجبات الزوجية ٣٨

الباب الثانى
آداب النكاح

الفصل الأول: بين النكاح والسفاح ٤٥
إعلان النكاح ٤٥
النكاح فى المساجد ٤٦
الشهود ٤٧
الخطبة ٤٨
الوليمة ٤٨
الدفٌ ٤٩
النكاح المشابه للسفاح – المتعة ٥١
المحلل ٥٣
الفصل الثالث: صيانة الزوجية ٥٦
المفقود ٥٨
الطلاق ٥٩
الإيلاء ٦١
الظهار ٦٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخلع ٦٣
الفصل الثالث: – طهر الحياة الزوجية – مناكحة الزنا ... ٦٦
الستر ٦٨
العيوب ٧٠
التعدد ٧١

الباب الثالث

نقاء البيت الإسلامى

الفصل الأول: الأسس العامة – تأصيل الإيمان ٧٧
التعاون ٨٠
الزكاة: التوزيع – الحق – المسئولية ٨١
أم الخبائث ٨٣
تأثيرها ٨٥
الأدلة ٨٦
الغناء ٨٧
الصيام ٩١
الجهر بالسوء ٩٢
الحدود ٩٣
الفصل الثانى: المرأة المسلمة ٩٧
حرمة البيت ٩٩
الاستئذان ٩٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللعب بالحمام ١٠١
الإجابة من وراء حجاب – عدم إبداء الزينة ١٠٣
النهى عن نعت المرأة الأخرى ١٠٣
خروج المرأة للحوائج ١٠٣
استئذان الزوج – تخرج متحجبة ١٠٥
على الحاكم منع المتبرجات من الخروج – تغطية الوجه .. ١٠٥
لا تخرج مستعطرة ١٠٧
عورة الصوت ١٠٨
حرمة الخلطة بالأجانب ١٠٩
لا تسافر إلا مع ذى محرم – لا تحج إلا مع ذى محرم ١١٠
الفصل الثالث: وصية للرجال ١١٢
تحريم لمس الأجنبية ١١٥
وبعد ١١٧
الفهرس ١١٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في